إبطال الحجج



إظهار اللجج

للرد على شبه المنبطحين ممن أجاز للنصارى حكم بلاد المسلمين

بقلم / أحمد بوادي

الفهرس

مقدمة : في بيان حال دعاة هذا الزمان ، وذكر أصنافهم

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، من ذلت له الرقاب ، ودانت له البلاد فكان على الكافرين شديدا ، وبالمؤمنين رؤوفا رحيما ، فخفض لهم جناحه ، وأنال لهم جانبه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه العزيز : " وما كنت متخذ المضلين عضدا " وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، سيد البشر وصفيه ، وخير خلقه ، بعثه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا بإذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد :

كثر الكلام على جواز تولية النصراني حكم بلاد الإسلام ولما في هذا الكلام من جناية على ملة الإسلام ، وخذلانا لأهل الإيمان ، وخروجا عن جادة الطريق إلى بيناها كتبت مقالي هذا خوفا على الأمة من الضياع ، وعلى الملة من الضباع .

وقبل البدء والشروع في دحض تلك الأقاويل ، والرد على شبهات المنبطحين ، لا بد لنا من وقفة يسيرة نلقي منها نظرة سريعة ، نتعرف من خلالها على أحوال المنبطحين من دعاة هذا الزمان ، خوفا على الأمة من الاغترار بهم ، وبمعسول كلامهم ، وهم يغدرون بالأمة ، يخذلونها ، ويخدرونها ، ويخونونها وهم يخجلون من دينهم ، يخجلون من عقيدتهم ، من توحيدهم ، من سلف أمتهم ، من سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ،

يداهنون ، يتملقون ، يتزلفون ، ...

هؤلاء دعاة الذلة ، دعاة المهانة ،

كلما ظن أحدهم أنه أجتهد تجده عن جوهر الدين ابتعد .

وإذا ما تدارك هؤلاء أنفسهم ، وسعوا في معالجتها ، وتخليصها من ذلكم الوباء ، فتداركوا الحال ، فأدبوها ، وهذبوها ، وعملوا على تصحيح مسارها ، وجنبوها الشبهات والشهوات ، وأبعدوها عن طريق الأهواء ، ولم يصروا على ما هم عليه من تخبط وضلال ، فندموا وبكوا على تلكم الأخطاء ، وإلا نكتت تلكم الانحرافات والشبهات في قلوبهم نكتا سوداء فعادت على قلب أسود كالكوز مجخيا لا تعرف حلالا ولا حراما إلا ما أشرب من هواها .

وكلما وجدت تلك الأنفس الزمان والمكان الملائمين ، نمت وترعرعت مع ما يناسب طبيعتها اللئيمة ، فلا يغرنكم حينئذ حفظ الرجل لكتاب ربه ، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم واستدلاله بآثار السلف عندما ترى منه العجب .

لا تعجب كثيرا لحفظه ، مع سوء فعله ، وخبث قوله ، واعلم أن مصيره إلى بوار وهم يتقربون ويتزلفون ويتملقون لأعدائهم بالحديث عن مكارم الأخلاق ، والآداب ، وحسن المعاملة ، والدعوة إلى العدل والإحسان ، وإكرام المرأة ، ومحاربة الإرهاب ، والإحسان إلى الكفار ، وأن هذه الفعال من محاسن الإسلام وسماحته ، يتقربون إليهم بمفاهيم مغلوطة تتناسب مع أفكار أعداء الإسلام وأغراضهم ، وكأن هذا أصل دين الإسلام ولبه ، يريدون من ذلك الرضا والقبول عند الكفار ، وهم يتغافلون عن جرائم أعداء الدين ضد الإسلام وأهله ، ويغرس هؤلاء المنبطحون خناجرهم في ظهور أمتهم وأبناء جلدتهم من المسلمين ، وسهامهم التي يصوبوها إلى صدور المسلمين ، وسيوفهم التي تقطر منها دماء الموحدين ، ومؤامراتهم ضد بلادهم وثرواتهم ، ومحاربتهم لمعتقداتهم ، واستيلائهم على مقدساتهم ، وانتهاكهم للأعراض ، وتدنيسهم للمقدسات ،وتمزيقهم للمصاحف ، وشتمهم للأنبياء

يغفلون عن أصل الدين ، ووجوب صيانة جانب التوحيد وحمايته ، ومحاربة أعدائه ، يتركونه للحديث عن حسن المعاملة ، والدعوة إلى النظافة وإكرام المرأة ، والدين يسر ، وتسامح ، ودعوة إلى الوسطية .

أخزاهم الله من أذلاء ، جبناء ، سفهاء ......

يغضون الطرف عن شركاء الديمقراطية ، من العلمانيين ، والليبراليين ، وعن كل أصحاب المناهج والأفكار الهدامة والفرق الضالة ، وما هم عليه من انحراف في الدين ، وفساد بالأخلاق ، يغضون الطرف عن بيان ضلال وفساد أخلاقهم ، وعن وتطاولهم على شريعة الرحمن ، وهم يلوكونها بألسنتهم انحرافاتهم و بالفضائيات ومسارحهم ونواديهم المنكرة ، يتهجمون عليها بأقلامهم في الصحف والمجلات ومواقع وصفحات الشبكة العنكبوتية .

يقفون حصنا منيعا ، وحاجزا متينا ضد تحكيم شرع الله ، يمنعون حماية الأوطان من انحراف النصارى واليهود ودعاة الضلال والانحراف ودعاة الفسق والمجون ، وأهل البدع وعباد القبور .

كل ذلك ليس له أولوية عند دعاة هذا الزمان من دعاة الفضائيات والتغريب ، كل هذا مهمش ومهشم ،عند هؤلاء الدعاة ، في ظل العرصنة الغربية ، والقرصنة العصرية على الإسلام وأهله ، والكلام فيه مدعاة للفرقة والتشرذم ، وشق الصف ، ودعوة إلى الطائفية .

بل إنهم يقفون في صفهم حتى أنك ترى الشيخ ذو اللحية الكثة يجالس المتبرجة الفاجرة الفاسقة ، وبجانبه النصراني وهو يصمد على صدره الصليب يفاخر بكفره ، وبتحدي سافر للإسلام وعناد لأهله ، ودعاتنا العصريون المتسامحون !!! لا تأخذهم في ذلك غيرة على الدين ولا على أهله من كفر هؤلاء و شقاقهم ، وعنادهم وتحديهم.

كل هذا لا غضاضة فيه عند هؤلاء الدعاة فلكم دينكم ولي دين ، طالما أنهم شركاء بالوطن وإخوان لنا في الإنسانية ، وإن سئل أحدهم سؤالا يخالف توجهات أعدائه أو شركائهم في الديمقراطية تجدهم يفرون من الجواب كفرار الهر من الأسد لا يريدون تعكير صفو علاقاتهم مع عباد الصليب كل هذا منهم خوفا عن القول بكلمة الحق فيغضب منهم شركاء الديمقراطية والإنسانية

فنحن أمام ظاهرة خطيرة عنوانها الانبطاحيون من دعاة الأمة الإسلامية ، وخطرهم الداهم على الملة ، والأمة الإسلامية

وهم يطوعون الدين ويلوون نصوصه ويحرفون أدلته لأهوائهم وأغراضهم السياسية التي تتلاءم مع متطلبات أعدائهم خوفا من اليهود والنصارى وتحرزا من أن ينالهم شيء من اطلاقاتهم الوصفية ، كنعتهم بالإرهاب والتزمت ، والتخلف ، والرجعية ، أو الأصولية الإسلامية .

أما أصناف هؤلاء الدعاة

فصنف قد نخر الوهن قلبه ، حتى جبن أمره ، وضعف عزمه ، فعجز عن تحمل المشاق ، والصبر على البلاء ، ولعمري أن هذا الوهن من أعظم أسباب الهلاك والضياع ، وصهر عقيدة الولاء والبراء ، وانحراف المنهج ، . ومن عوامل النكوص ، والخذلان ، والوقوف عند رغبة الأعداء وما يمليه عليهم الأسياد .

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :
" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت "
و صنف منهم قام أمره عن جهل ، وقلة فهم ، و تزبزب قبل تحصرم ، أو عن خلل وانحراف في المنهج ، عائد على النشأة البدعية ، والأخذ والتلقي عن أصول غير منهجية ، أو التأثر بالأفكار الغربية ، والمناهج الفكرية .

وصنف منهم كان سوء الخلق ، ومنبت السوء ، وخبث النفس ، وفساد الطوية ، ودسيسة السرية ، دوافع لانتهاك حرمات الله وبالأخص في الخلوات ، فتعرف حينئذ حقيقة فتاوي التغليف . ولا يغرنك إن عرفت عن أحدهم الصيام أو القيام والناس نيام فلن يصل أحدهم في قيامه وصيامه لعبادة الخوارج ، ولتجدن سوء أعمالهم عند الاحتضار قال ابن القيم "إن المعاصي تخون العبد فيخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار ، وربما تعذر عليه النطق بالشهادة " . انتهى كلامه .

" أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات

سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يحكمون "

ومنبع كل هذا مرض مُضَغ القلوب ، وانعدام الإخلاص في النية ، كما أن للكبرياء والغرور وحب الظهور ، دور بالغ وكبير ، في ضعف الوازع الديني ، وبطر الحق ، وغمض الناس ، وحينئذ لا ينفع معه دليل ولا برهان في قبول بطلان هذه الأقوال ، متقلب بين حور وكور ، حتى يحول الله بينه وبين قلبه ، عافانا الله وإياكم ، فذاك باعوراء ، وهذا عبد الله القصيمي ، وذلكم مجاهد القسطنطينية الذي روى قصته ابن كثير عن عبدة بن عبد الرحيم ، ذلك المجاهد الذي حفظ القرآن وغزا بلاد الروم ، حتى أبلى بلاء عظيما ، حتى إذا كان في احدى الغزوات على أبواب القسطنطينية وإذا بامرأة نصرانية جميلة تطل عليه فيفتن بها فتخيره بين دينه وبين الزواج منها ، فيترك دينه ليتزوجها ، فيمر به إخوان الأمس فيقولون له : يا هذا ما فعل قرآنك ؟؟!!! فيقول نسيته كله إلا قوله تعالى : " ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " .

ـــــ وللتنبيه حول القصة فقد وهم ابن كثير رحمه الله في بدايته فجعل الراوي هو صاحب القصة ـــــ .

ومنهم دعاة صالحون لكنهم سذج ، لا يعلمون من حقيقة الأمر إلا طاعة ولي الأمر ، ولو كان أميرهم إبليس ، جعلوا تسعين بالمئة من عبادتهم لرضا السلطان ، ثقة العوام بهم حملتهم على تصديق أقوالهم والاغترار بأفعالهم ، فاستغل الماكرون سذاجتهم ، ومرروا بهم أفكارهم ، وجعلوهم مطية معتقداتهم ودسائسهم ، ليتجرع المسلمون مرارة سذاجتهم وغفلتهم .

وهذا ذكرني بنابليون عندما استطاع إقناع بعض السذج والمغفلين بأن الفرنسيين مؤمنون ، فصدقه البلداء ، واغتر بحملته البلهاء حتى يومنا هذا ، فدافع عن حملته مخنثة المرجئة آنذاك ، وجامية ذلك العصر ، وقالوا إياكم ، ثم إياكم ، والخروج على ولي الأمر .

ومنهم عصرانيو العصر ، ثعالب وذئاب في جلود ضأن ستروا سوءة ولبّ دين النصارى وشركهم ، ومنهج العلمانيين ، والليبراليين ، بقشور ديننا العظيم وما به من قشور ، فرفعوا الصليب بجانب الهلال ، وحملوا الإنجيل بجانب القرآن ، وحموا الكنيسة وبنوها بجانب المسجد ، والنصارى مؤمنون

!!! ، ورحم الله بابا الفاتيكان !!! ، وجعلوا الحرية مقدمة على الشرع ، وحكم الديمقراطية على كتاب رب البرية ، أباحوا الاختلاط ، والجلوس مع المتبرجات ، وسباحة الرجال مع النساء ، هدموا أصول الدين ولم يبقوا منه إلا الكلمة الطيبة ، والتسامح مع الأعداء ، والتقارب مع الأديان ؟؟!!! ، بعد أن غرقم الحياة المادية ، وانخدعوا بزخرفها وانغروا بزيف حضارقا بدعوى أن الإسلام دين تسامح ومحبة وأخوة وسلام .

إن الأفاعي وإن رقت ملامسها ... عند التقلب في أنيابها العطب

ومنهم من أعطى الدنية بالدين ، حتى خالط أعداء الدين وتزلف إليهم ، وتقرب إلى أصحاب الشبهات ، حبا للحصول على المال ، أو تقلد المناصب ، حتى افقدهم كثرة المساس الشعور بالإحساس .

ومنهم من فرضت عليه بيئته الدينية ، أو نشأته الإسلامية أن يكون شيخا من غير رغبة منه ، وقد أعجزه الحال عن الانفكاك من واقعه الديني ليجد نفسه مرغما على مسايرة ذلك الواقع من غير رضا منه ، ونزعته الفاسدة وعرقه الدساس يدفعانه للشهوات وحب الذات ، وكلما سنحت له الفرصة بالانسلاخ بدل جلده وغرق في مستنقع الفساد والرذيلة على أن يكون كل ذلك ضمن حدود الشريعة ؟؟!!! ، فيصدر الفتاوى ، ويختلق لنفسه الأعذار والمبررات ، والتأويلات الفاسدة ، ويتلاعب بالدين إرضاءا للهوى والشهوات .

ومنهم من الزمه معدله الدراسي أن يصبح شيخا عندما لم يجد إلا كلية الشريعة للالتحاق بها ، والتكسب بشهادتها ، وإذا به قد أصبح إمام مسجد ، أو معلما في مدرسة ، أو أستاذا جامعيا ، وهو لا يحسن إلا الثرثرة ظن بشهادته المغفلون أنه قد غدا أهلا لحمل هم الدين ، ولم يعلم هؤلاء المساكين أن الراتب والألقاب كحرف الدال هم كثير من هؤلاء ، وأمثال هؤلاء يناسبهم قول القائل : الألقاب ليست سوى وسام للحمقى ، والرجال العظام ليسوا بحاجة لغير اسمهم .

ورحم الله الفضيل بن عياض القائل : " لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار ، أحب إليّ من أن آكلها بديني " .

فلا عجب إن رأيت منهم التلاعب بالفتوى وأحكام الدين .

ومن الدعاة والشيوخ من كان منهم مندسا بلحية وقصر ثوب يفتي للمسلمين بهذا حلال وهذا حرام ليفسد على المسلمين دينهم ، و يشق عصاهم ، ويفرق جماعتهم ، أو يتجسس عليهم كما جاء على لسان وزير الخارجية الليبي ، أن الساعدي طلب منه والده القذافي أن يكون سلفيا من أجل أن يلتف الدعاة حوله ويكسبوا وده ويكون بذلك عينا عليهم ، ويأبى المنتفعون من مخنثة الإرجاء إلا أن يجعلوه شيخا وسلفيا ؟؟!!!! .

فكل ما ذكرته من أحوال هؤلاء ، يضعف التقوى ، ويؤثر بالفتوى جاعلا من الداعية غير أمين على الدين ، ويغدو العقل ، والمصلحة ، والمباح ، والتسامح ، وعدم التشدد ، والمداهنة ، والمسايرة ، والتمييع ، والترقيع والمصالح الشخصية ، واختلاف الفقهاء ، والأقوال الشاذة ، والمتشابه من الأقوال ، والأخذ بالمجمل وترك المفصل ، والعام دون الخاص ، والمطلق دون المقيد .
الأعذار والمبررات التي يهدم بها الدين لصالح الأهواء والشهوات ورضى السلطان ، أو الحزب والشيخ ، كل ذلك وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .
ولو اطلعنا إلى حال الأمة وتتبعنا وسبرنا أحوال دعاتها لرأينا أن المتحكم بالفتوى والمتحدث في الناس غالبهم من تلك الأصناف التي ذكرناها ولا تكاد أن تجد فيهم عالما صادقا ، أو مفتيا تقيا ، أو مبتعدا عن شبهة ، أو شهوة . وستجد تلك الصفات تلاصقهم وتلاحقهم ولا انفكاك لهم عنها .

ولتعرفنهم في لحن القول :
شيخ يجالس متبرجة كاسية عارية وقد كان يحرم ذلك على غيره لكنه في الفضائيات يجيزه لنفسه وشيخ يحرم الفضائيات ويمنع الخروج فيها أو مشاهدتها وإذا به أحد دعائمه وشيخ يجالس الأمراء وآخر يتصور مع الطواغيت والفجار وآخر يداهن الكفار وشيخ يدخن بلا استحياء وشيخ حليق وشيخ مسبل ، وشيخ يسمع الغناء وشيخ يستمتع بمشاهدة الأفلام والمسلسلات وشيخ يحضر حفلات الغناء وشيخ يجيز القبلات وشيخ يحرم الجهاد وشيخ يجيز سباحة النساء مع الرجال وشيخ لا يرى بأسا بالربا ، وشيخ يجيز الزنا للشاب مع صديقته ، ومخرجه من ذلك شهادة اثنين من

أصدقائهما وبدون إذن وليها ، ولا عقد يكتب بينهما ومن غير إعلان لنكاحهما ، قائلا لها أترضين أن أكون زوجا لك فتجيبه قائلة رضيت ثم إذا قضيا وطرهما طلقها .

وشيخ يرى الكافر حاكما وإماما ، وشيخ لا يرى بأسا من مشاهدة الأفلام الإباحية، وشيخ يجيز إرضاع الموظفة لزميلها بالعمل وشيخ يرى المجاهد خارجي ومارق ، الخ .

فمعظم هؤلاء في عصرنا من يفتي للناس بهذا حلال وهذا حرام .

فيا أمة الإسلام هل هؤلاء أمناء دينكم ؟؟!!! هل هؤلاء من تأخذون عنهم فتاويكم ؟؟!!!

هل هؤلاء من يؤخذ عنهم أحكام الإسلام ؟؟!!! .وهم يصادمون الشرع بأقوالهم وأفعالهم الشاذة

اسمعوا إلى قول الإمام الأوزاعي رحمه الله لتعلموا حقيقة دعاة الفضائيات وعلمائهم ممن يجالس المتبرجات ويداهن الحكام ممن سلك الجدد فأمنوا العثار .

قال رحمه الله : " كنا نضحك ونمزح ، فلما صار يُقتدى بنا، خشيت أن لا يسعنا التبسم "

إن مضمار هؤلاء العلماء ساحات الجهاد ومنازلة الأعداء ومفارقة الطواغيت فظهر صدق قولهم وحقيقة علمهم ، عندما نصروا الحق وردوا الباطل وأهله .

أما مشايخ هذا الزمان فمضمارهم الفضائيات بجانب المتبرجات وتسليط الكاميرات وبريق الأضواء ، وتحت قاعات البرلمانات ، وخيم وقصور الحكام ، وحضور موائدهم ، والتصوير معهم ، وافتتاح مراكزهم الإسلامية ، والثناء على أعمالهم الخيرية المنهوبة من عرق المساكين ، والتقرب إلى السلاطين بأكل لحوم المجاهدين

ثم إذا ما شبعوا منها تراشقوا بما بقي من لحومها يجعلونها قرابينا لأسيادهم بالتأليب عليهم والفتوى ضدهم .

كيف لا يكون هذا منهم وأسيادهم يستضيفونهم بفنادق الخمس النجوم ، وطعامهم لحوم الضأن المحشوة ، ووجبة الإفطار على العسل المصفى، ومن ثم يخرجون علينا بدموع باردة يتباكون ، يزعمون صحة المنهج ، وسلامة المعتقد ، والخوف على الدعوة ومنهج السلف ، بزعمهم الدفاع عن الكتاب والسنة وهم يوالون ويجالسون ويجاملون ويثنون خيرا على من حاربها

القدس عروس عروبتكم ؟؟!!!

هل عرفتم حقيقة هؤلاء الصعاليك والفرق بينهم وبين سلفنا وهم يظنون أنهم وإياهم صقران قد حطا على وكر ، بل وفيهم من يشمئز منهم ويسقط من قدرهم وهم يقولون هم رجال ونحن رجال ، نعم هم رجال ، أما أنتم فلا أظن أنكم ستدركون أشباه ومخنثة الرجال .

وما الناس إلا عاملان فعامل .... يتبر ما يبني وآخر رافع

فلا عجب أن سمعت منهم جواز تولي النصراني حكم بلاد الإسلام

ونحن في هذا المقال سنرد ونصد بإذن الله الواحد المنان على احدى فتاوى ما جناه دعاة هذا الزمان على أمة الإسلام من دمار وخراب وخذلان

وأيم الله ، إنها من احدى فتاوى الضلال والبهتان ففيها هدم الدين وضياع أحكامه ونقض لعرى الإسلام ، وتمكين لملة الكفر من رقاب أهل الإيمان ، فبعد أن عطلوا الجهاد بفتاويهم واعتبروها رايات عمياء ، وأجازوا السلام مع المحتلين لبلاد المسلمين ، وقالوا عن المجاهدين إرهابيين فأفتوا بجواز قتلهم على أنهم خوارج وقد جوزوا أسرهم ، حتى بلغ بهم الأمر اليوم تمكين الكافر من حكم بلاد الإسلام ، فوالله ما هي إلا المؤامرة على الإسلام وأهله .

الفصل الأول : بيان منزلة الكافر في الإسلام

لم يترك الله عز وجل بيان منزلة الكافر الذي أشرك به ، وحاد عن دينه ، لعباده يحكمون عليها بعقولهم واجتهاداتهم ، وبهم عبد غير الله ، و ساد الكفر بالأرض ، ولكفرهم وشركهم نزل الفرقان ، فسلت السيوف ، وسالت الدماء ، ونصب الصراط ، ولأجل كفرهم بعث الله رسله مبشرين ومنذرين ، فأظهر شركهم ، وفضح كفرهم وكذبهم ، وبعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فأمر بقتالهم وتطهير الأرض من رجسهم ، ونجسهم ، وخبث قولهم ، حتى يعبد الله وحده ، فأنار لنا بذلك الطريق فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فعرفنا الكفر من الإيمان ، وحقيقة الكفار ، ومنزلتهم في الدنيا والآخرة .
فجعل الله لهم دار البوار ، واسودت وجوههم عند الملك الجبار ، فأسكنهم ردغة الخبال ، حتى نضجت جلودهم من حر النيران ، وسقوا ماءا كالمهل يشوي الوجوه فتقطعت منه الأمعاء .

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّـهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " ﴿البقرة: ١٦١﴾"

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ " ﴿آل عمران: ٩١﴾

" إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ " ﴿الأعراف: ٤٠﴾

" وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ " ﴿التغابن: ١٠﴾

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَـٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ "﴿البينة: ٦﴾

ومرادنا من هذا الفصل بيان مترلتهم الدنيوية بين المسلمين ، ورفع ما أشكل على البعض فهمه ، وبيان تدليس ما أخفاه بعض المميعين والمنتفعين والمداهنين والجهلة ، لحقيقة تلك المترلة ومكانتهم في الشريعة الإسلامية إذ حاول البعض إعزازهم حيث أذلهم الله ، ورفع مترلتهم حيث وضعهم الله .

وحديثنا هنا عن بيان مترلة الكفار الغير المحاربين ، من الذين يعيشون بين المسلمين يسالموهم ، ويتعايشون معهم في أوطاهم ، ويتعاملون معهم في تجارهم ، لا يعتدون عليهم ولا يتآمرون ضدهم .

حقيقة مترلة الكفار بالإسلام

1- أن الكافر نجس وفي هذا دليل هوانه وقلة شأنه سواء كانت نجاسته حسية أم معنوية

قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ "

إن ما تحمله هذه الآية الكريمة من دلالات ومعان عظيمة تظهر بجلاء ووضوح حقيقة الكفار والمشركين ومترلتهم ، بصورة واضحة نقية ، تجعل ممن يحاول تحسين صورة الكافر أن يخجل من نفسه وهو يزعم أهم إخوان لنا ، وشركاء على حد السواء في الوطن ، ولهم من الحقوق والواجبات كتلك التي لنا ،فهل يستوي الخبيث والطيب .

قال الله تعالى : " قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "
ولا يصلح القول هنا في بيان معرفة حقيقة النجاسة ، هل هي حسية أم معنوية ، ذلكم أننا نتكلم في الوصف اللائق هم، والذي استحقه هؤلاء من الله عز وجل ، من صفة خسيسة ، وضيعة ، دنيئة ، لا يستحق صاحبها أي مترلة رفيعة ترفع من قدره، وتعلو من شأنه

هذا وإن كانت تلك النجاسة تستلزم الحقيقة المعنوية فإن هذا القول أدعا للنفور من هؤلاء النجس ، وعدم والثقة هم ، أو الركون إليهم في أمر عظيم من أمر الدنيا والدين وإلا فالنجاسة الحسية تزال بقليل من الماء .

إن من دعاة المسلمين !!! من يرفع هؤلاء الأنجاس بعد أن وصفهم الله عز وجل بكتابه بذلك الوصف المخزي ، المشين ، منزلة عالية ، رفيعة ، فوق المنزلة التي جعلها الله لهم ، فيعزهم حيث أذلهم الله ، فيجيز انتخاباهم حكاما وولاة على المسلمين ، فهل قرأ هؤلاء القرآن ، وإن قرؤوه هل فهموه ، هل فهموا معنى أن يكون الكافر نجسا ، هل النجس يكون أهلا لتولي أمر المسلمين إن كان مسلما بله كافرا " إنها لإحدى الكبر "

كيف أن الله عز وجل قد أباح لعباده المؤمنين أن يولي عليهم كافرا نجسا ، يصلي بالكنيسة ، يشرب الخمر ، ويأكل الخنزير ، ولا يتنزه من البول ، لا يقيم فيهم أمره ، ولا يصلح لهم شأن دينهم ، وهم عباده المؤمنون به المطيعون له .

" مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ "

هذا هو حال الكفار يا صعاليك الدعوة الإسلامية
إن لم يجعل الله عز وجل لهم من لوازم عبادته شيء ، فحرم عليهم بناء مساجده ودخول بيته الحرام ، فهل كان الله عز وجل ليجعل لهم من الأمر شيء في حكم أوليائه وعباده المؤمنين ، وإقامة دينهم ودنياهم ، ومعلوم أن الحمار أفضل من المشرك ، فهل يَحكم المسلم مَن الحمار أفضل منه ؟؟!!! .
فأي خراب للبلاد ، وفساد للعباد ، في أن يحكمهم مشرك نجس .
لم يكن لهؤلاء الكفار منزلة عند أهل السنة والجماعة ، أصحاب العقيدة الصافية والمنهج السليم وهم يقرؤون كتاب الله ، ويعرفون سنة نبيهم ،إلا منزلة الدون والصغار ،فلم تلوث عقولهم الحضارة الغربية ، ولم يغتروا بأفكارهم العصرية ، من لم تفسد صحة مناهجهم أو تشوهه أضواء الكاميرات ، أو الجلوس بالاستوديوهات ، والبرامج التلفزيونية ، والخروج بالفضائيات ، واللقاءات الصحفية عن قولهم الحق ونصرة أهله .

وهنالك من الآثار عن السلف ما يفضح زيف هؤلاء الدعاة وتبين حقيقة الكفار آثارا وأقوالا كثيرة يكفينا الآن منها من جعل منزلتهم في بعض الحالات كمنزلة الكلاب ، عندما أجاز بعض أهل العلم الاستعانة بهم في القتال فجعل الاستعانة بهم مشروطة كالاستعانة بالكلاب .
ويأبى بعض دعاة المسلمين إلا أن يعزوهم ويجعلوا منهم قادة وأمراء وقوادا على المسلمين ليس فقط بالحروب بل ولهم الكلمة النافذة في حياة المسلمين وبلادهم .

2- منزلة الكافر في الإسلام مقهور، ذليل ، صاغر وحقير

هذه الأوصاف لا يستسيغها الدعاة العصرانيون عندنا فإنهم يشمئزون منها وتنفر أحاسيسهم من مجرد التلفظ بها ، فهم لا يريدون خدش مسامع النصارى بها ، ولو ملك أحدهم أن يقرأ الآية ويضع يده على قوله تعالى " وهم صاغرون " كما فعلت اليهود من قبل في آية الرجم لما ترددوا فيحرفون الألفاظ كما يريدون ، لرضا إخوانهم النصارى ، لكن أقلامهم جافة مع مداد العلماء ، وما حيلتهم في ذلك وقد حفظ الله كتابه

ولا يفهم من هذا أننا إذا أردنا مناداة النصراني أن نقول له يا ذليل ويا حقير وإنما كلامنا في وصف حالهم ، وبيان حقيقة منزلتهم التي أنزلهم الله إياها ، وما يترتب عليها من أحكام

قال الله تعالى : " قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون "

قال الراغب في المفردات: " "يقال صَغُرَ صَغُراً في ضد الكبير، وصَغِرَ صُغْراً وصَغَاراً في الذلة، والصاغر الراضي بالمنزلة الدنيّة: حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"

قال شيخ المفسرين ابن جرير : وأما قوله : (وهم صاغرون) ، فإن معناه : وهم أذلاء مقهورون .
وقال الإمام البخاري في صحيحه : (وهم صاغرون) يعني أذلاء
نقل ابن حجر عن أبي عبيد قوله في تفسيرها "الصاغر: الذليل الحقير".
وقد ذكر القرطبي في تفسيره : ـــــ عن يد ـــــ قال ابن عباس غير مستنيب فيها أحدا

روى أبو البختري عن سلمان قال : مذمومين . وروى معمر عن قتادة قال : عن قهر
وقيل عن يد عن إنعام منكم عليهم ؛ لأنكم إذا أخذتم منهم الجزية فقد أنعم عليهم بذلك

قال ابن كثير عن يد عن قهر لهم وغلبة ، صاغرون : أي : ذليلون حقيرون مهانون . فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء صغرة أشقياء ، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال : " لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه " . ثم ذكر رحمه الله الشروط العمرية

قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة :
فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رءوس أهله ، والرق على رقابهم فهذا من دين الله" .
وقال رحمه الله : "فالجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالا وصغارا"
أما قوله تعالى: ((عن يد ...)) أي يعطوها أذلاء مقهورين .

قال الشوكاني في "السيل الجرار" 4 / 751:
أن الله سبحانه قد قال في كتابه : " حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " فهذه الجملة الحالية قد أفادت أنه يترل بهم ما فيه صغار في ملبوسهم ، وبيوتهم ، ومركوبهم ونحو ذلك من شؤونهم ، ويمنعون مما يخالف الصغار، وهو التشبه بالمسلمين في ملبوسهم ، وبيوتهم ، ومركوبهم ونحو ذلك ، وقد أخذ عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهدا ذكر فيه ما يعتمدون عليه في حالهم ، ومالهم ، وكنائسهم ، ومن جملته أنهم لا يتشبهون بالمسلمين في ملبوساتهم في قلنسوة ، ولا عمامة ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، وفيه أنهم يجزون مقاديم رؤوسهم وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ،ولا يظهرون صليبا ، ولا شيئا من كتبهم في طريق المسلمين ، وفيه أنهم لا يضربون ناقوسا إلا ضربا خفيفا ولا يرفعون أصواتهم بالقراءة في شيء من حضرة المسلمين وهذا العهد العمري " انتهى .

وأما من ذهب إلى قول الشافعي رحمه الله بأن المراد بالصغار هو الخضوع لحكم الإسلام لنفي الذل عنهم فقد أجاب ابن حجر رحمه الله على ذلك بقوله كما في الفتح 6 / 299: وهو يرجع إلى

التفسير اللغوي، لأن الحكم على الشخص بما لا يحتمله، ويضطره إلى احتماله يستلزم الذل" . أنتهى كلامه.

ومنه يعرف أن خضوعهم لحكم الإسلام لا ينف عنهم الذل والهوان ، فكيف يجعل هؤلاء الكافر النصراني وغيره من ملل الكفر على قدم المساواة مع المسلمين ،بل والأدهى والأمر أن نجد من علماء الأمة من يفتي بجواز توليتهم الحكم على المسلمين لا أعلم بأي وجه يستقيم هذا الأمر وتلك الفتوى فأي مصيبة لحقت بالأمة من فتاوى أئمة الضلالة والسوء هؤلاء .

وفي مسند الإمام أحمد قال – صلى الله عليه وسلم –: { بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله ولا يشرك به، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم }

وفي صحيح البخاري عن المغيرة بن شعبة قال لقائد الفرس: " فأمرنا نبينا رسول ربنا – صلى الله عليه وسلم – أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية "

فأي ذل لهؤلاء بعد كل هذا

3 – الكفار أهل ضغينة ، وحقد ، وحسد ، وبغض للإسلام والمسلمين

قال الله تعالى :

" مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "

هذا من الصفات الذميمة ، والخسيسة ، التي يكنها هؤلاء ضد الإسلام والمسلمين ، بينها لنا قرآننا العظيم ، محذرا إيانا من مكرهم ، وخبثهم ، وخطورة حسدهم الذي يفضى إلى المكر السيئ والعمل على عداوتنا والنيل من معتقداتنا .

فإن كان هذا حالهم معنا فكيف يثق بهم أو نحسن الظن بهم ، فنوليهم أمرنا ، فإن كان حسن الظن لا ينبغي بمن ظاهره سيء كما قال ابن القيم ، فكيف إن كان هذا المرء كافرا وقد دل القرآن على عداوتهم وحسدهم وبغضهم للإسلام وأهله .

قال ابن عثيمين رحمه الله :

يحرم على المسلمين أن يُوَلُّوا هؤلاء الكفار أيّ قيادة؛ لأنهم ما داموا لا يودون لنا الخير فلن يقودونا لأيّ خير مهما كان الأمر؛ ولهذا يحرم أن يجعل لهم سلطة على المسلمين لا في تخطيط، ولا في نظام، ولا في أي شيء؛ بل يجب أن يكونوا تحت إمرة المسلمين، وتحت تدبيرهم ما أمكن؛ وإذا استعنا بهم فإنما نستعين بهم لإدراك مصالحنا وهم تحت سلطتنا؛ لأنهم لو استطاعوا أن يمنعوا القطر، وينبوع الأرض عن المسلمين لفعلوا؛ إذاً فيجب علينا الحذر من مخططاتهم، وأن نكون دائماً على سوء ظن بهم؛ لأن إحسان الظن بهم في غير محله؛ وإنما يحمل عليه الذل، وضعف الشخصية، والخور، والجبن؛ ولهذا قال تعالى: { ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم }؛ وهي شاملة لخير الدنيا، والآخرة؛ فاليهود حسدوا المسلمين لما آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ونزل عليهم هذا الكتاب .

قال الطبري في تفسير : وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين, والاستماع من قولهم، وقبول شيء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون.

قال ابن كثير في تفسيره : بين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابهتهم للمؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى "والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم " .

يقول سيد قطب رحمه الله في ظلاله :

ثم يكشف للمسلمين عما تكنه لهم صدور اليهود حولهم من الشر والعداء ، وعما تغل به قلوبهم من الحقد والحسد ، بسبب ما اختصهم به الله من الفضل . ليحذروا أعداءهم ، ويستمسكوا بما يحسدهم هؤلاء الأعداء عليه من الإيمان ، ويشكروا فضل الله عليهم ويحفظوه

وقال الله تعالى :

" وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "

قال ابن كثير في تفسيره : يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم

قال سيد قطب في ظلاله : ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا , حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق "

وذلك ما يفعله الحقد اللئيم بالنفوس . . الرغبة في سلب الخير الذي يهتدي إليه الآخرون . . لماذا ؟ لا ، لأن هذه النفوس الشريرة لا تعلم . ولكنها لأنها تعلم !

(حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)

والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين , وما زالت تفيض , وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها وما تزال . وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه , ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم ; وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه , والذي أنقذهم الله منه بالإيمان , وخصهم بهذا بأعظم الفضل وأجل النعمة التي تحسدهم عليها يهود!

4- تحريم مخاطبة الكافر بسيدي ، عز للمسلم ، وإذلال للكافر، فكيف بمبايعته والقول بجواز ولايته

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :

" لا تقولوا للمنافق سيدا ، فإنه إن يكن سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل "

النهي عن ذلك لما فيه من تكريم له ، والمنافق لا كرامة له ، والكافر من باب أولى

قال ابن القيم رحمه الله تحت فصل "خطاب الكتابي بسيدي ومولاي" :

"وأما أن يُخاطب بـــ "سيدنا" ، و "مولانا" ، ونحو ذلك : فحرام قطعاً ، وفي الحديث المرفوع : (لا تقولوا للمنافق : سيدنا ، فإن يكن سيدكم فقد أغضبتم ربكم)" انتهى . " أحكام أهل الذمة " (3 / 1322) .

وقال الحافظ المناوي:[وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يكره استعمال اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك. واستعمال اللفظ المهين المكروه فيمن ليس من أهله.وهذا من ذلك القبيل.] فيض القدير شرح الجامع الصغير

وفي النهاية– لابن الأثير– :فإنه إن كان سيدكم وهو منافق فحالكم دون حاله والله لا يرضى لكم ذلك.

وقال الطيبي أي إن يك سيداً لكم فتجب عليكم طاعته فإذا أطعمتموه فقد أسخطتم ربكم، أو لا تقولوا للمنافق سيد فإنكم إن قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم] مرقاة المفاتيح48/14، وانظر عون المعبود 12/11.

وقال الإمام النووي:" اعلم أن السيد يطلق على الذي يفوق قومه ويرتفع قدره عليهم، ويطلق على الزعيم والفاضل، ويطلق على الحليم الذي لا يستفزه غضبه، ويطلق على الكريم،

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية 11/349–350:[من يستحق التسويد:لفظ السيد مشتق من السؤدد، وهو: المجد والشرف، ويطلق على المتولي للجماعة. ومن شرطه وشأنه أن يكون مهذب النفس شريفاً. وعلى من قام به بعض خصال الخير من الفضل والشرف والعبادة والورع والحلم والعقل والنزاهة والعفة والكرم ونحو ذلك. –

وأما – إطلاق لفظ السيد على المنافق، فالمنافق ليس من هذه الخصال في شيء؛ لأنه كاذب مدلس خائن، لا توافق سريرته علانيته. وفي العقيدة يبطن الكفر ويظهر الإسلام. وقد ورد النهي عن إطلاق

لفظ السيد على المنافق فيما روي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل" وذلك لأن السيد هو المستحق للسؤدد، أي للأسباب العالية التي تؤهله لذلك، فأما المنافق فإنه موصوف بالنقائص، فوصفه بذلك وضع له في مكان لم يضعه الله فيه، فلا يبعد أن يستحق واضعه بذلك سخط الله

وما أجمل ما قاله أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي في كشف حقيقة هؤلاء المندسين والسذج منا وبيننا وهم يدعون إلى تسييد الكافر

يقول رحمه الله : " إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة " الآداب الشرعية 299/1

قال ابن باز رحمه الله في كتاب مجموع فتاوى ومقالات ابن باز :

وأما قول سيد للمنافق والكافر فلا يجوز لحديث لا تقولوا للمنافق : سيدنا ، فإن يكن سيدكم فقد أغضبتم ربكم

وقال الحسن البصري:" من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه . والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم, ولا يمدح ليفرح." ذكره الغزالي في الإحياء.

قال الشّيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في " معجم المناهي اللّفظية "

" سِستَر " : هذه اللفظة في اللغة الانكليزية بمعنى الأخت، وقد انتشر في النداء بها في المستشفيات للممرضات وبخاصة الكافرات. وما أقبح بمسلم ذي لحية يقول لمرضة كافرة أو سافرة: يا سستر أي: يا أختي .. إلى أن قال ومثله قولهم للرجل :سير, أو مستر بمعنى : سيّد، فعلى المسلم أن يحسب للّفظ حسابه، وأن لا يَذِلّ وقد أعزّه الله بالإسلام .

أقول : وماذا يا شيخ رحمك الله لو رأيت مشايخ هذا الزمان وهم يخرجون بالفضائيات ولحاهم تكاد تلامس الأرض وهم يجالسون متبرجة نصرانية في قناة إخبارية عميلة يقولون لها سيدتي ، وأنا لست مطالب بأن أحجبك

وفي هذا التعليم والإرشاد النبوي درس مهم للأمة يبين لهم فيه ذلة الكافر ومترلة الحقيقية ، فإن كان الإسلام قد نهى عن مجرد التلفظ بهذا القول للكافر فكيف بمن يفتي بجواز جعلهم حكاما وأولياء أمور على المسلمين وبلادهم ، لهم السمع والطاعة وتحريم الخروج عليهم

5- نهي الإسلام عن مشابهتهم دليل انتقاص وازدراء وإذلال

لم يترك الإسلام طريقا موصلا إلى الكفار ودينهم إلا وعمل على سد منافذه وتجفيف منابعه، خوفا على الأمة ، وحفاظا على الملة من خدشها أو أن ينالها شيء من كفرهم أو اغترار جاهل بطريقتهم ، وفي ذلك إعلان البراءة المطلقة من الكفار ولو كان في أقل الأشياء حتى المناسبات الدينية التي قد تتوافق بيننا وبينهم فيها الأيام فقد عمد الشرع على مخالفتهم فيها ، كما في صوم عاشوراء ، وقد كان في بدء الأمر أن غيرت القبلة التي كانوا يتوجهون إليها حتى جعل الله لنا قبلة غيرها .

كما أمر بمخالفتهم بالمأكل ، والمشرب ، والملبس ، والمسكن ، حتى في خضاب اللحى ، ولبس النعال ، وجعل قصد مشابهتهم في أقوالهم أو أفعالهم دليل ولاء لهم

كل هذا وغيره صيانة لجانب التوحيد من كفرهم وخوفا على الأمة من شركهم وبيان مترلتهم الوضيعة وأنهم أهل الذل والاحتقار حتى يأنف المرء من التشبه بهم خوفا أن يلحقه غضب الله من وراء ذلك

6- الإحسان إلى الكفار دليل ذلهم وحقارة شأنهم وفيه بطلان حكمهم لأهل الإسلام

قال تعالى : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "

إلا أن هذا البر والإحسان مشروط من غير خلل في الدين

والمتأمل لهذا الخطاب ، وبيان مقتضاه ، يظهر له بجلاء أن منزلة الكافر دون المؤمن ، وأن المؤمن الأعلى شأنا والأرفع قدرا ، ولو كان من الجائز أن يكون لآحاد الكفار منزلة أرفع من منزلة المسلمين في ديارهم لما كان للإحسان والإقساط معنى مفهوما والإحسان لهم من المسلمين فلا يمكن أن يؤمر السيد بالإحسان إلى عبده وللعبد القدرة والتمكين على سيده ، فإن كان السيد وولي الأمر والحاكم والمتصرف بشؤون البلاد والعباد في الدولة الإسلامية هو الكافر ، فكيف تتحقق حقيقة الإحسان من المسلم إلى الكافر ، وهو سيده وولي أمره وقد وجب عليه طاعته وعدم الخروج عن أمره ، ولطالما أنه لا يأمره بمعصية فسيبقى المؤمن حينئذ طوع أمره خاضعا لأوامره وتحت سيادته .

أليست هذه مخالفة صريحة للقرآن والسنة ومصادمة لأوامرهما ونحن نفتي بجواز تأميره علينا

وعليه يجب إعمال مفهوم الإحسان ، وفهمه مع منطوق الآية ، ليصبح المسلم هو السيد ، والأمير ، والقائد ، فيكون هو المحسن ، إذ الإحسان لا يكون إلا من الأعلى إلى الأدنى

ومنه يفهم عدم جواز تمكين الكافر أو تنصيبه منزلة رفيعة في الدولة يكون المسلم فيها دونه وإلا لذهب مفهوم ومعنى الإقساط لهم .

ومما ينبغي معرفته ولفت الانتباه إليه أن هذا الإحسان والإقساط لا يستلزم حبهم ، ولا ينافي بغضهم وكرههم ، ذلكم لو أن كافرا محاربا وقع أسيرا بين يديك وتمكنت منه وطلب منك شربة ماء ، وقد أهلكه العطش لسقيته من باب الإحسان إليه لا من باب محبته ، ولو كنت قاضيا واحتكم إليك كافر قد اعتدى عليه مسلم لوجب عليك إنصاف الكافر وأخذ الحق له من المسلم مع حبك للمسلم وبغضك للكافر ، إذ لا تلازم بين الإحسان والإقساط ولزوم المحبة ، فهذا من وجوب العدل .

كما أنه لا تعارض بين الإحسان إليهم وبرهم ووجوب إنزالهم المنزلة اللائقة بكفرهم من إذلال ، وتحقير ، وإهانة ، إلا أن هذا مشروط أيضا بالشرع ، وليس لأهوائنا وآرائنا وشهوات أنفسنا ،

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : " لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه "

قال القرافي في فروقه: انه يتعين علينا أن نبرهم – أهل الذمة – بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب ، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع، وصار من قبل ما نهى الله عنه في قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } .

ولعمري كيف يكون هذا والحاكم علينا كافرا ، نسمع له ونطيع فهل اخطأ نبينا عياذا بالله ، وأصاب دعاة المارينز ؟؟!!!

فإذا تبين لنا ذلك في بيان معرفة منزلتهم وأنهم أهل للصغار ، والإذلال ، وأن الإحسان كتب عليهم من المؤمنين فأي منزلة يريدها هؤلاء وهم يريدون رفع شأنهم وإعزاز مكانتهم .

7 – الشروط العمرية دليل إذلال وامتهان لأعداء الإسلام

الشروط العمرية شروط تلقتها الأمة بالقبول وقد شهدت لها آيات القرآن ، والنصوص النبوية ، واحتج بها علماء الإسلام ، وعمل بها حكامهم ، فلسنا بحاجة لمناقشة سند هذه الشروط مع منبطح يريد إعزاز النصارى واليهود ومساواتهم بالمسلمين ، وإكرامهم ورفع منزلتهم ، وجعلهم سادة وأمراء ، وحكاما على المسلمين ، وإخوانا للمؤمنين ، وهو يخرج بأقواله الشاذة عن جماعة المسلمين ، لأن من كان هذا حاله فهو أحوج إلى السياط منه إلى المناقشة والبيان .

كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه أن لا يحدثوا في مدينتهم ولا ما حولها ديرا ، ولا كنيسة ، ولا قلية ، ولا صومعة راهب ، ولا يجددوا ما خرب منها ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاثة ليال يطعمونهم ، ولا يؤوا جاسوسا ولا يكتموا غشا للمسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركا ، ولا يمنعوا ذوي قراباتهم من الإسلام إن أرادوه ، وأن يوقروا المسلمين ، ويقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ، ولا عمامة ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا يتكلموا بكلام المسلمين ، ولا يتكنوا بكناهم ، ولا يركبوا سرجا ، ولا يتقلدوا سيفا ، ولا يتخذوا

شيئا من السلاح ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ، ولا يبيعوا الخمور ، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم ، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا ، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ولا يظهروا صليبا ولا شيئا من كتبهم في شيء من طرق المسلمين ، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ، ولا يضربوا ناقوسا إلا ضربا خفيفا ، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ولا يخرجوا سعانين ، ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم ، ولا يظهروا النيران معهم ، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ، فإن خالفوا شيئا مما شرطوه فلا ذمة لهم ، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق

قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى **28/651** : " في شروط عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي شرطها على أهل الذمة لما قدم الشام، وشارطهم بمحضر المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وعليه العمل عند أئمة المسلمين، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "

وقوله صلى الله عليه وسلم: "اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر"

ولأن هذا صار إجماعاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين لا يجتمعون على ضلالةٍ على ما نقلوه وفهموه من كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

ويقول ابن القيم ــ رحمه الله ــ

وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم، واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء، وعملوا بموجبها "

الفصل الثاني : الأدلة على بطلان ولاية الكفار

قبل البدء و الشروع في بيان وذكر أدلة الموضوع ،سأذكر بإذن الله بعض أقوال ونصوص أهل العلم المعتبرين في بطلان ولاية الكفار ، وليعلم حينئذ أقزام المفتين من الدعاة ، وأنصاف المتعالمين ، وأرباعهم وأشبارهم ، قدر أنفسهم وحقيقة ، منزلتهم وخطورة فتواهم التي يعملون بها لتمرير جريمتهم التي يريدون منها اجتثاث الإسلام من جذوره ، وتمكين الكفار منه ، بزعهم أنهم دعاة إصلاح ، وأصحاب علم وفقه ومعرفة بالمصلحة والمفسدة . ألا خابوا وخسروا من منبطحين وجهلة .

وما سأنقله وأذكره ما هو إلا نتفا يسيرة ، وأقوال قليلة ،من تلكم الآيات والنصوص النبوية وأقوال علماء الأمة وجهابذتهم في تفسير تلك الآيات والأحاديث النبوية ولو أردت الاسترسال في ذكر كل ما جاء من الكتاب والأحاديث النبوية دالا على منع الكافر وتمكينه من ولاية المسلمين وحكمهم لاحتاج الأمر إلى عدة مجلدات فما أكثر ما ذكر من الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة الدالة على التحذير من الكفار ومنع ولايتهم ، وموالاتهم ووجوب البراءة منهم والتحذير من خبثهم ومكرهم وحقيقة عدائهم للإسلام و للمسلمين .

بل لو أردنا استقراء آيات القرآن لوجدنا أن أكثرها يدعو إلى وحدانية الله عز وجل ، والبراءة من الكفر وأهله ، وإن آية واحدة أو حديث واحد لكاف لمنع ذلك وتحريمه ، بل وأزيد على ذلك لو لم يكن في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ما يدل على تحريم ذلك ومنعه والتحذير منه لكان العقل الصحيح ، والفطرة السليمة كافيان في منع ذلك وتحريمه وتجريمه ، وإلا كيف يقبل المرء أن يكون تحت إمرة من لم يكن على فطرته أو معتقده أو جنسه .

لو نظرنا لا أقول إلى الحيوانات بل إلى الحشرات لعرفنا حقيقة الأمر وأنها لا تقبل أن يكون أمير جماعتها أو من كان ملكا عليها إلا من جنسهم فانظرهم بالنمل ،وبالنحل، ..

فهل ستكون تلكم الحشرات أعلى قدرا وأرفع مترلة ، وأكثر عزة ، ورفعة من المنبطحين من دعاة الأمة المنسلخون من جذورهم و قيمهم ومبادئهم وهم يبيحون ولاية الكافر على المسلم ، أما عندي فإن تلكم الحشرات أفضل حالا منهم وأكثر كرامة ، وعزة ، وأنفة

وسأذكر هنا بعض الأقوال عن أئمة الإسلام والمسلمين الدالة على تحريم ولاية وحكم الكافر على المسلم.

يقول ابن عثيمين رحمه الله:

يحرم على المسلمين أن يُوَلُّوا هؤلاء الكفار أيّ قيادة؛ لأهم ما داموا لا يودون لنا الخير فلن يقودونا لأيّ خير مهما كان الأمر؛ ولهذا يحرم أن يجعل لهم سلطة على المسلمين لا في تخطيط، ولا في نظام، ولا في أي شيء؛ بل يجب أن يكونوا تحت إمرة المسلمين، وتحت تدبيرهم ما أمكن

قال النووي في المنهاج : قال القاضي عياض: "أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل"

وقد عقد ابن القيم فصلا في عدم استخدام اليهود والنصارى في شيء من ولايات المسلمين وأمورهم

ذكر الإمام ابن القيّم رحمه الله في أحكام أهل الذمة : و

فالواجب على ولّي الأمر فعل ما أمره الله به، وما هو أصلح للمسلمين: من إعزاز دين الله، وقمع أعدائه، وإتمام ما فعله الصحابة، من إلزامهم بالشروط عليهم، ومنعهم من الولايات في جميع أرض الإسلام، لا يلتفت في ذلك إلى مرجف أو مخذّل يقول: إنّ لنا عندهم مساجد وأسرى، نخاف عليهم، فإنّ الله تعالى يقول: (ولينصرن الله من ينصره , إن الله لقوي عزيز)

يقول ابن كثير في تفسيره في منع ولاية هؤلاء الكفرة وإعزاهم : " عن يد " عن قهر لهم وغلبة ، صاغرون : أي : ذليلون حقيرون مهانون . فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء صغرة أشقياء "

وقال الحسن البصري:" من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه. والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم, ولا يمدح ليفرح."

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى :

" والمسلمون قدْ كثروا بالدِّيار المصريَّة وعمرتْ في هذه الأوقات حتى صار أهلُها بقدر ما كانوا في زمَن صلاح الدِّين مرَّات متعدِّدة، وصلاح الدِّين وأهل بيْته ما كانوا يوالون النَّصارَى، ولم يكونوا يَستعملون منهم أحدًا في شيءٍ مِن أمور المسلمين أصلاً؛ ولهذا كانوا مؤيَّدين منصورين على الأعداء مع قِلَّة المال والعَدد، وإنما قويت شوكة النَّصارى والتتار بعدَ موت العادِل أخي صلاح الدِّين حتى إنَّ بعض الملوك أعطاهم بعضَ مدائن المسلمين، وحدَث حوادث بسبب التفريط فيما أمَرَ اللهُ به ورسولُه صلَّى الله عليه وسلَّم – فإنَّ الله تعالى يقول:

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 40]

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: 41]

فكان ولاةُ الأمور الَّذين يهدِمون كنائسَهم ويُقيمون أمرَ الله فيهم كعُمرَ بن عبدالعزيز وهارون الرشيد ونحوهما مؤيَّدين منصورين، وكان الذين هم بخِلاف ذلك مغلوبين مقهورين.

وقال رحمه الله : وإنَّما كثرتِ الفِتن بيْن المسلمين وتفرَّقوا على ملوكِهم مِن حين دخَل النصارى مع ولاةِ الأُمور بالدِّيار المصريَّة في دولة المُعز

وقال رحمه الله : وكل مَن عرَف سير الناس وملوكهم رأى كلَّ مَن كان أنصر لدِين الإسلام، وأعظم جهادًا لأعدائه، وأقومَ بطاعة الله ورسوله، أعظمَ نُصرةً وطاعة

وقال رحمه الله :

ولا يُشير على ولي أمْر المسلمين بما فيه إظْهار شعائرهم في بلادِ الإسلام أو تقوية أمْرهم بوجهٍ مِن الوجوه إلا رجل منافِق يظهر الإسلام، وهو منهم في الباطِن، أو رجل له غرَض فاسد، مِثل أن يكونوا برطلوه ودخلوا عليه برغبةٍ أو رهبة، أو رجل جاهِل في غاية الجهل لا يعرف السياسةَ الشرعيَّة الإلهيَّة التي تَنصُر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدِّين، وإلا فمَن كان عارفًا ناصحًا له أشار عليه بما يوجب نصْره وثباته وتأييده، واجتماع قلوبِ المسلمين عليه ومحبَّتهم له، ودعاء الناس له في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا كلُّه إنما يكون بإعزاز دِين الله وإظهار كلمة الله، وإذلال أعداء الله تعالى

وقال رحمه الله :

وليعتبر المعتبرُ بسيرة نور الدين وصلاح الدين، ثم العادل، كيف مكَّنهم الله وأيَّدهم وفتَح لهم البلاد وأذلَّ لهم الأعداء؛ لما قاموا مِن ذلك بما قاموا به، وليعتبرْ بسيرة من والَى النصارى كيف أذلَّه الله تعالى وكبته

وليس المسلمون محتاجين إليهم – ولله الحمد – فقدْ كتَب خالد بن الوليد إلى عمر بن -رضي الله عنه – يقول: (إنَّ بالشام كاتبًا نصرانيًّا لا يقوم خراجُ الشام إلا به)؟ فكتَب إليه: (لا تستعملْه)، فكتب: (أنه لا غِنى بنا عنه)؟ فكتب إليه عمر: (لا تستعملْه)، فكتب إليه: (إذا لم نولِّه ضاع المال)؟ فكتب إليه عمرُ – رضي الله عنه –: (مات النصرانيُّ، والسَّلام)،

وثبَت في الصحيح عن النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّ مشركًا لحِقه ليقاتل معه، فقال له: ((إنِّي لا أستعين بمشرِك))، وكما أنَّ استخدام الجُند المجاهدين إنما يصلُح إذا كانوا مسلمين مؤمنين، فكذلك الذين يعاونون الجندَ في أموالهم وأعمالهم إنما تصلُح بهم أحوالهم إذا كانوا مسلمين مؤمنين، وفي المسلمين كفايةٌ في جميع مصالحهم – ولله الحمد.

ودخَل أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – على عمرَ بن الخطَّاب – رضي الله عنه – فعرَض عليه حسابَ العِراق فأعجبه ذلك، وقال: (ادعُ كاتبك يقرأْهُ عليّ) فقال: (إنَّه لا يدخل المسجد) قال:

(ولِمَ) قال: (لأنَّه نصراني (فضرَبَه عمر – رضي الله عنه – بالدِّرَّة فلو أصابتْه لأوجعتْه، ثم قال :لا تُعزُّوهم بعد أن أذلَّهم الله، ولا تأمنوهم بعدَ أن خوَّنَهم الله، ولا تُصدِّقوهم بعدَ أن أكْذَبَهم الله.

قال رحمه الله : والمسلمون في مشارقِ الأرض ومغاربها قلوبُهم واحِدة موالية لله ولرسولِه، ولعباده المؤمنين، معادية لأعداءِ الله ورسوله، وأعداء عبادِه المؤمنين، وقلوبهم الصادِقة وأدعيتهم الصالِحة هي العسكرُ الذي لا يُغلب، والجند الذي لا يُخذل، فإنَّهم هم الطائفة المنصورة إلى يومِ القيامة – كما أخبر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم.

وقال رحمه الله : فقدْ عرَف أهل الخبرة أنَّ أهل الذمَّة من اليهود والنصارى والمنافقين يُكاتبون أهلَ دِينهم بأخبار المسلمين وبما يطلعون على ذلك مِن أسرارهم، حتى أُخِذ جماعة من المسلمين في بلادِ التتر وسُبُوا، وغير ذلك بمطالعة أهلِ الذمَّة لأهل دِينهم، ومِن الأبيات المشهورة قولُ بعضهم:

كُلُّ العَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا   إِلاَّ عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ فِي الدِّينِ

ولهذا وغيرِه مُنعوا أن يكونوا على ولايةِ المسلمين، أو على مصلحةِ مَن يقويهم، أو يفضل عليهم في الخِبرة والأمانة مِن المسلمين، بل استعمال مَن هو دونهم في الكفاية أنفعُ للمسلمين في دِينهم ودنياهم، والقليل مِن الحلال يبارك فيه، والحرام الكثير يذهب ويمحقه الله تعالى، والله أعلم، وصلَّ الله على محمَّد وآله وصحْبه وسلم

الدليل الأول على بطلان ولاية الكافر وحكمه للمسلمين وبلادهم :

1 – " وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً "

آية جامعة ، وحجة دامغة ،أصل من أصول الإسلام تصعق ، وتصفح ، وتفضح دعاة الزيغ والضلال ، والدخن ،وأصحاب الزيغ ، والشبهات والأفكار المنحرفة والقلوب المريضة ، تتساقط أمامها الحيل ، وتتقاذف من جنباتها الشبهات ، وتتهاوى الأقاويل والمبطلات إذا ما قوبلت بها ،

ويقف عند منطوقها كل من صح منهجه واستقامت عقيدته من دعاة أهل السنة لا يتجاوزها ولا يحتاج أحد منهم معها إلى غيرها

سبيل المؤمنين ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم من خير القرون "وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "

سبيل المؤمنين ما اجتمعت عليه الأمة في خير القرون، ولم يشاققهم أحد على ذلك ولم يخرج عن قولهم وفعلهم فكيف إن امتد الأمر إلى أكثر من اربعة عشر قرنا .

سبيل المؤمنين منابذة الكفار ، وبغضهم ، ومخالفتهم ، وعدم الرضا بهم ، أو التشبه بهم

ولا حظ ولا سبيل في سبيل المؤمنين لولاية الكافر على المسلمين وبلادهم :

فهذا الإفك وزور القول، لم يأت به القرآن ، ولم يأمرنا به النبي العدنان، فقد اجتمعت كلمة المسلمين من بعده على خليفة مسلم فبايعوا الخلفاء حتى جاءت دولة الأمويون ، وحكم العباسيون في دولتهم الأولى والثانية ، وبسط الترك ،والسلاجقة ، والخوارزميون ، والأيوبيون ، والمماليك حكمهم على الدولة الإسلامية ، فلم يبايع أحد منهم كافرا على الإسلام والمسلمين أو يفت أحد منهم بذلك ، إلا ما كان من بعض الولاة في فترة زمنية محدودة أصاب الأمة فيها الوهن والضعف والعجز بأن جعلوا لهم بعض العمال من النصارى لكنهم كانوا يعملون تحت ظل ولي أمر المسلمين وخليفتهم لا حكاما على المسلمين وبلادهم حتى أن العبيديين بكفرهم وزندقتهم لما تمكنوا من حكم بلاد المسلمين في أجزاء منها لم يتجرأ أحد منهم على إعلان كفره وزندقته لأنهم يعلمون أنه لا ولاية للكافر ، ولا حكم له على المسلمين وبلادهم ، بل إن العبيديين ادعوا لأنفسهم نسبا كاذبا نسبوه إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ليروجوا لمعتقداتهم الباطلة وليجدوا قبولا لهم عند أهل الإسلام ، فهم لا يجرؤون على التصريح بمعتقداتهم الباطلة ، خوفا من سطوة أهل الإيمان وغضبهم منهم والخروج عليهم ، ومن كان على علم بأمرهم من المسلمين

أصحاب الكلمة الصادقة ، لم يداهنهم ولم يعط الدنية لهم في دينه ،حتى سلخ العبيدي جلد النابلسي رحمه الله عن عظمه وغرز الخنجر في قلبه لما وقف في وجههم ورفض حكمهم .

وتوالت على الأمة الإسلامية الدول من شرقها إلى غربها من خراسان إلى أقصى المغرب فكان دولة المرابطين والموحدين ، والأدارسة لم نعلم عن أحد منهم سواء كانوا سادة أوهمجا رَعاع مبايعتهم للنصارى لحكم بلاد المسلمين

وجاء العثمانيون وأعز الله بهم الإسلام والمسلمين فلم يتول حكم المسلمين في عهدهم أحد من الكفار

وفي كل هذه الفترة من الزمن لم يبايع المسلمون كافرا على بلاد المسلمين يحكمهم حتى في بلاد الأندلس بين النصارى

هذا سبيل المؤمنين وهذا ما كانوا عليه في أعظم مسألة من مسائل الدين

2 ــ قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "

هل قرأت وسمعتم قول نبيكم يا من تتنكبون عن الصراط المستقيم ، وتتبعون أهواءكم وشهواتكم ، ومعتقدات أعدائكم ، وتزعمون أن الخلافة من اختراع الصحابة شاهت الوجوه " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي " فأين جواز تولية النصراني حكم بلاد المسلمين من سنة سيد المرسلين أو سنة خلفائه الراشدين فهل هذا القول من التمسك بهديهم ، أو العض على سنتهم ، أم أنه الترك والزيغ والانحراف عن منهجهم

وأي تقوى من الله عند هؤلاء الدعاة الجهلة وهم يجوزون للنصراني حكم بلاد الإسلام والمسلمين وهم يظهرون الورع والتقوى ويقولون هذا جديد دعوتنا شاهت الوجوه .

" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "

أي إحداث في أمر الدين أعظم من مبايعة الكافر لحكم بلاد المسلمين " ما لكم كيف تحكمون "

أي مصيبة حلت علينا ، ونزلت بنا من هؤلاء المنسلخين والمنهزمين والمنبطحين من المندسين والمتدثرين بلبوس أهل السنة ودعاة الإسلام ، تربى بعضهم في مدارس وجامعات الغرب ، ورضعوا من ثديهم ، وارتموا في أحضانهم ، ومن ثم جاؤوا إلى بلادنا ليدرسوا علينا مناهج الإسلام بثوب الكفار وتلقف الأغمار أفكارهم ولقي ذلك قبولا عند أصحاب العقول العفنة فروجوا لأفكارهم وجعلوا منهم علماء ودعاة ومفكرون إسلاميون ألا خابوا وخسروا .

وإن من عادة المنحرفين عن سبيل المؤمنين ترك الأصول والتمسك بشذوذ الأقوال ولأفعال ولو سلمنا أن الأمة الإسلامية في تاريخها الحافل بالنصر والتمكين والعزة قد مرت بمرحلة زمنية كانت هزيلة ، وحكمها الضعفاء وبعض الجهلة وأصحاب القروش والكروش ، أو المغفلون والمغرر بهم ، فمكنوا النصراني في ولاية من الولايات فخالفوا الأصول العريضة التي بنيت عليه هذه العقيدة العتيدة، أيترك الأصل ويتمسك بفروع ضعيفة هزيلة لا دليل عليها ولا برهان إلا الحجج الواهية والأقوال البالية .

إلا أن هذا الأخذ وذلك الترك من صنع المنهزمين والضعفاء وأصحاب الزيغ والشبهات وإلا فلا يوجد من أصل إلا وله من أهل الباطل أو الجهل من يخالفه ويخرج عنه وينفخ فيه ، وحينئذ فإن ذلكم الشخص هو المشاقق والمتبع لغير سبيل المؤمنين

3- قال الله تعالى : " إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ "

قال القرطبي في تفسيره :
إِنْ يَثْقَفُوكُمْ " يلقوكم ويصادفوكم ; ومنه المثاقفة ; أي طلب مصادفة الغرة في المسايفة وشبهها "
وقيل : " يثقفوكم " يظفروا بكم ويتمكنوا منكم

يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوء " "
أي أيديهم بالضرب والقتل , وألسنتهم بالشتم

وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُون " بمحمد ; فلا تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم "

يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية : "
" أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال "وودوا لو تكفرون" أي ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضا

ويقول سيد قطب في ظلاله عن ذلك :.

فلا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل . ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسنة وبكل وسيلة "وودوا لو تكفرون " . والأدهى من هذا كله والأشد والأنكى

وهذه عند المؤمن أشد من كل أذى ومن كل سوء يصيبه باليد أو اللسان . فالذي يود له أن يخسر هذا الكنز العزيز . كنز الإيمان . ويرتد إلى الكفر , هو أعدى من كل عدو يؤذيه باليد وباللسان

والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر , ويهتدي بنوره بعد الضلال , ويعيش عيشة المؤمن بتصوراته ومداركه ومشاعره واستقامة طريقه وطمأنينة قلبه يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار . أو أشد . فعدو الله هو الذي يود أن يرجعه إلى جحيم الكفر وقد خرج منه إلى جنة الإيمان , وإلى فراغ الكفر الخاوي بعد عالم الإيمان المعمور .
لهذا يتدرج القرآن في تهييج قلوب المؤمنين ضد أعدائه وأعدائهم حتى يصل إلى قمته بقوله لهم عنهم :
" وودوا لو تكفرون "

4 – " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا "

هذه الآية الكريمة إما أن يراد منها الخبر أو الإنشاء على أمر الدنيا ، أو يراد حمل المعنى على أنه إخبار عن يوم القيامة ، فإن كان المراد منها الخبر بالدنيا فهذا منتف بتسلط الكفار على المسلمين في الدنيا والواقع يشهد على ذلك ، فلا يزال الكفار يتسلطون على المؤمنين ، ولهم الأمر والنهي عليهم وأمرهم نافذ فيهم ، وصفحات التاريخ تشهد غلبة الكفار على المؤمنين وحكمهم عليهم لسنوات عديدة ، وإن كان المراد منها الإنشاء وهو ما فيه الأمر والنهي فهذا ما يصدقه الواقع ويطرد عليه وتصدقه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ومنهج السلف ،ويشهد له العقل والفطرة السليمة

قال القرطبي في تفسيره
{ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا } (النساء–41) وهو خبر يراد منه الإنشاء والطلب، والمعنى: أن الله حرم على المؤمنين أن يجعلوا للكافرين عليهم سبيلا .

يقول الشاطبي رحمه الله تعالى في موافقاته : " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا " إن حمل على أنه إخبار لم يستمر مخبره لوقوع سبيل الكافر على المؤمن كثيرا بأسره وإذلاله، فلا يمكن أن يكون المعنى إلا على ما يصدقه الواقع ويطرد عليه، وهو تقرير الحكم الشرعي فعليه يجب أن يحمل .

يقول الشيخ عبد الله دراز في تخريجه لأحاديث الموافقات وشرحه عليها عند ذكره لهذه الآية :" أن مجرد الإيمان كاف في تطبيق حكم أنه لا يتولى الكافر شؤون المسلم في العقود وغيرها ، فيكون هو الذي ينبغي تتريل الآية عليه "

قال ابن المنذر(أجمع كل من يحفظ عنه أهل العلم أن الكافر لا ولاية له على مسلم بحال)

هذا وقد ذهب الحنابلة على أنه لا يجوز للمسلم أن يمكن من نفسه للكافر أن يستأجره ليخدمه، سواء كان هذا الكافر ذميًا أو مستأمنًا أو محاربًا لأن استخدام الكافر للمسلم استذلال له، فكأن في إجارة

المسلم نفسه من الكافر إذلال لنفسه وليس من حق المسلم أن يذل نفسه للكافر، لأن الله تعالى يقول: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) ، فلا يجوز أن يكون للكافرين تسلطًا واستيلاء على المؤمنين، وإن وجد شيء من ذلك، فهو على خلاف الشرع ولا شك، فلا يجوز إقراراه . تفسير ابن سعدي ج2 ص200.

قال القاضي ابن العربيِّ" :إنَّ الله سبحانه لا يَجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً بالشَّرع، فإن وجد فبِخلاف الشرع

قال ابن حزم في الملل والنحل في شروط الإمامة :

وأن يكون مسلما لأن الله تعالى يقول : " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا " والخلافة أعظم السبيل ولأمره تعالى بإصغار أهل الكتاب وأخذهم بأداء الجزية وقتل من لم يكن من أهل الكتاب حتى يسلموا وأن يكون متقدما لأمره عالما بما يلزمه من فرائض الدين متقيا لله تعالى بالجملة غير معلن بالفساد في الأرض لقول الله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان "

لأن من قدم من لا يتقي الله عز و جل ولا في شيء من الأشياء معلنا بالفساد في الأرض غير مأمون أو من لا ينفذ أمرا من لا يدري شيئا من دينه فقد أعان على الإثم والعدوان ولم يعن على البر والتقوى وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو ورد ". انتهى

كما جاءت معان أخرى في تأويل الآية الكريمة تحتملها ولا ينف بعضها البعض كمن ذهب بالقول إلى أن المعنى المراد هو يوم القيامة لأن حمل الآية على هذا الوجه ليس فيه شيء من التقييد لها بالموقف عن غيره بذلك اليوم فقط بل إن اللفظ مطلق محتمل في الدنيا والآخرة وهذا ما تشهد له النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ومنهج السلف بل والعقل والفطرة السليمة كما بينا وإلا كيف يستقيم الأمر بأن يجعل الله عز وجل للكافر سبيل على المؤمنين وأمينا على الدين وهو يبطل دينه ، ويكذب قرآنه ، ولا يؤمن بنبيه وقد جعل الله لهم الذلة ولعباده المؤمنين العزة وهو القائل : {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ

لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} وهو القائل : " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " .

وقال الشنقيطي رحمه الله في أضوائه :

وأخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة منع دوام ملك الكافر للعبد المسلم، والعلم عند الله تعالى.

انتهى

أقول : وعليه فإنه لا يمكن بأي حال فهم الآية وحملها على أمر الآخرة دون إعمالها في أمر الدنيا ، فالأمر لا يستقيم بأن يجعل الله العزة لنا على الكفار يأمرنا بدعوتهم فإن لم يستجيبوا لنا قاتلناهم إن لم يدفعوا الجزية ، ثم يجعل لهم السبيل والسؤدد علينا بجعلهم حكاما وأمراء وسادة علينا .

هذا الكلام مدعاة للضحك والسخرية من قائله ومن علمه إن كان عنده علم فإن كان عنده علم فهو خوان منبطح ذليل مهان متلاعب بأحكام القرآن وأحكام الإسلام يبتغي العزة عند الكفار

وانظر إلى وجه آخر في فهم هذه الآية عند أهل العلم أصحاب العقيدة الصحيحة والفطرة السليمة

يقول الامام ابن القيم في اغاثة اللهفان " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا "

والتحقيق : أن انتفاء السبيل: عن أهل الإيمان الكامل فإذا ضعفَ الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى

فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مكفي مدفوع عنه بالذات أين كان ولو اجتمع عليه من بأقطارها إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهرا وباطنا

وقد قال تعالى للمؤمنين : "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين "

وقال تعالى : " فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم"

فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها ولا يُفردها عنهم ويقتطعها عنهم فيبطلها عليهم كما يتر الكافرين والمنافقين أعمالهم إذ كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره "

فانتبه لقوله يا رعاك الله :

فإذا ضعفَ الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم فهم "
جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى "

فهو يحكي صورة المتخاذلين والخوان اليوم وهم يجعلون للكافر سبيلا على المؤمن بفتاويهم وهم يدعون العلم ، والإيمان ، والتقوى ، فهل هناك مصيبة على الأمة أعظم من جريمة هؤلاء الخونة والمتخاذلين الأذلاء .

يريدون للكفار أن يحكمونا فتكون لهم العزة والرفعة علينا ولنا الذلة والمهانة

وهنا نقل آخر عن جبل عملاق شامخ بعقيدته ، وعزة إيمانه ، سبحان من غرس حبه في قلوب عباده المؤمنين ، وجعل البغض في قلوب المؤمنين لمن طعن فيه

يقول سيد قطب رحمه الله :

" ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا "

وفي تفسير هذه الآية وردت رواية أن المقصود بهذا النص يوم القيامة . حيث يحكم الله بين المؤمنين والمنافقين فلا يكون هناك للكافرين على المؤمنين سبيل.

كما وردت رواية أخرى بأن المقصود هو الأمر في الدنيا بأن لا يسلط الله الكافرين على المسلمين تسليط استئصال . وإن غلب المسلمون في بعض المعارك وفي بعض الأحايين . وإطلاق النص في الدنيا والآخرة أقرب , لأنه ليس فيه تحديد . والأمر بالنسبة للآخرة لا يحتاج إلى بيان أو توكيد. .

أما بالنسبة للدنيا , فإن الظواهر أحيانا قد توحي بغير هذا . ولكنها ظواهر خادعة تحتاج إلى تمعن وتدقيق:

إنه وعد من الله قاطع ، وحكم من الله جامع أنه متى استقرت حقيقة الإيمان في نفوس المؤمنين ،وتمثلت في واقع حياتهم منهجا للحياة, ونظاما للحكم , وتجردا لله في كل خاطرة وحركة ، وعبادة لله في الصغيرة والكبيرة. . فلن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . .

وهذه حقيقة لا يحفظ التاريخ الإسلامي كله واقعة واحدة تخالفها!

وأنا أقرر في ثقة بوعد الله لا يخالجها شك , أن الهزيمة لا تلحق بالمؤمنين , ولم تلحق بهم في تاريخهم كله ،إلا وهناك ثغرة في حقيقة الإيمان . إما في الشعور وإما في العمل

ومن الإيمان أخذ العدة وإعداد القوة في كل حين بنية الجهاد في سبيل الله وتحت هذه الراية وحدها مجردة من كل إضافة ومن كل شائبة - وبقدر هذه الثغرة تكون الهزيمة الوقتية ، ثم يعود النصر للمؤمنين – حين يوجدون !

ففي "أحد" مثلا كانت الثغرة في ترك طاعة الرسول [صلى الله عليه وسلم] وفي الطمع في الغنيمة.
وفي "حنين" كانت الثغرة في الاعتزاز بالكثرة والإعجاب بها ونسيان السند الأصيل!
ولو ذهبنا نتتبع كل مرة تخلف فيها النصر عن المسلمين في تاريخهم لوجدنا شيئا من هذا . . نعرفه أو لا نعرفه. . أما وعد الله فهو حق في كل حين.

نعم . إن المحنة قد تكون للابتلاء . . ولكن الابتلاء إنما يجيء لحكمة , هي استكمال حقيقة الإيمان ، ومقتضياته من الأعمال

كما وقع في أحد وقصه الله على المسلمين – فمتى اكتملت تلك الحقيقة بالابتلاء والنجاح فيه ،جاء النصر وتحقق وعد الله عن يقين . على أنني إنما أعني بالهزيمة معنى أشمل من نتيجة معركة من المعارك . .
إنما أعني بالهزيمة هزيمة الروح , وكلال العزيمة.

فالهزيمة في معركة لا تكون هزيمة إلا إذا تركت آثارها في النفوس همودا وكلالا وقنوطا. فأما إذا بعثت الهمة , وأذكت الشعلة , وبصرت بالمزالق , وكشفت عن طبيعة العقيدة وطبيعة المعركة وطبيعة الطريق . . فهي المقدمة الأكيدة للنصر الأكيد . ولو طال الطريق!

كذلك حين يقرر النص القرآني:أن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا. .

فإنما يشير إلى أن الروح المؤمنة هي التي تنتصر ; والفكرة المؤمنة هي التي تسود.
وإنما يدعو الجماعة المسلمة إلى استكمال حقيقة الإيمان في قلوبها تصورا وشعورا;
وفي حياتها واقعا وعملا وألا يكون اعتمادها كله على عنوانها.
فالنصر ليس للعنوانات . إنما هو للحقيقة التي وراءها. .
وليس بيننا وبين النصر في أي زمان وفي أي مكان,
إلا أن نستكمل حقيقة الإيمان.

ونستكمل مقتضيات هذه الحقيقة في حياتنا وواقعنا كذلك. .
ومن حقيقة الإيمان أن نأخذ العدة ونستكمل القوة.
ومن حقيقة الإيمان ألا نركن إلى الأعداء ; وألا نطلب العزة إلا من الله.

ووعد الله هذا الأكيد , يتفق تماما مع حقيقة الأيمان وحقيقة الكفر في هذا الكون. .
إن الإيمان صلة بالقوة الكبرى , التي لا تضعف ولا تفنى . . وإن الكفر انقطاع عن تلك القوة وانعزال عنها. .
ولن تملك قوة محدودة مقطوعة منعزلة فانية,أن تغلب قوة موصولة بمصدر القوة في هذا الكون جميعا.

غير أنه يجب أن نفرق دائما بين حقيقة الإيمان ومظهر الإيمان . . إن حقيقة الإيمان قوة حقيقية ثابته ثبوت النواميس الكونية . ذات أثر في النفس وفيما يصدر عنها من الحركة والعمل.
وهي حقيقة ضخمة هائلة كفيلة حين تواجه حقيقة الكفر المنعزلة المبتوتة المحدودة أن تقهرها ، ولكن حين يتحول الإيمان إلى مظهر فإن "حقيقة " الكفر تغلبه ،إذا هي صدقت مع طبيعتها وعملت في مجالها . .
لأن حقيقة أي شيء أقوى من "مظهر" أي شيء . ولو كانت هي حقيقة الكفر وكان هو مظهر الإيمان!
إن قاعدة المعركة لقهر الباطل هي إنشاء الحق.
وحين يوجد الحق بكل حقيقته وبكل قوته يتقرر مصير المعركة بينه وبين الباطل.
مهما يكن هذا الباطل من الضخامة الظاهرية الخادعة للعيون. .

" بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق "

" ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا." . " انتهى من الظلال

أقول : كل ما قيل في تأويل الآية معتبر وله حظ من القبول والنظر ولا يوجد في أي من تلك الأقوال ، أو التلميح بجواز أن يكون للكافر سبيل على المؤمنين بتولية حاكما على المسلمين ، بل ولا أجد تعارضا بين كل تلك الأقوال إلا قولا واحدا مرجوح مردود مرذول لا حظ له من الرضا أو القبول وهو قول القائل أن الآية لا تدل على منع تولية الكافر حكم بلاد المسلمين ، وقائل هذا القول كاذب على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين .

5 – يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بطانة مِنْ دُونِكُمْ

قال الله تعالى : {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّخِذُواْ بِطَانَةً مّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدّواْ مَا عَنِتّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيّنّا لَكُمُ الآيات إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَاَأَنْتُمْ أُوْلآءِ تُحِبّونَهُمْ وَلاَ يُحِبّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضّواْ عَلَيْكُمُ الأنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِن اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتّقُواْ لاَ يَضُرّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً أن اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}

يقول ابن كثير رحمه الله : {لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ} أي من غيركم من أهل الأديان ، ... وعن أبي حاتم رضي الله عنه قال قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

" أن ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتباً، فقال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين. "

ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب،

ولهذا قال تعالى: {لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ} ، وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن إسرائيل، حدثنا هشيم، حدثنا العوام عن الأزهر بن راشد، قال: كانوا يأتون أنساً فإذا حدثهم بحديث لا يدرون ما هو، أتوا الحسن يعني البصري، فيفسره لهم، قال: فحدث ذات يوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً" فلم يدروا ما هو، فأتوا الحسن فقالوا له: أن أنساً حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً" فقال الحسن: أما قوله "لا تنقشوا في خواتيمكم عربياً": محمد صلى الله عليه وسلم، وأما قوله:

"لا تستضيئوا بنار المشركين" يقول: لا تستشيروا المشركين في أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم} . انتهى

قال الطبري في تفسيره :

قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم ="لا تتخذوا بطانة من دونكم"، يقول: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم ="من دونكم" يقول: من دون أهل دينكم وملَّتكم، يعني من غير المؤمنين.

وإنما جعل"البطانة" مثلا لخليل الرجل، فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه، لحلوله منه -في إطلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه- محلَّ ما وَلِيَ جَسده من ثيابه.

فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء، ثم عرّفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة، وبغيهم .

قال القاسمي في تفسيره :
وربما كان يغتر بعض المؤمنين بظاهر أقوال المنافقين ويظنون أنهم صادقون فيفشون إليهم الأسرار .
وإما جميع أصناف الكفار وقوفاً مع عموم قوله تعالى : { مِنْ دُونِكُمْ } كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } [الممتحنة : 1

ومما يؤكد ذلك ما رواه ابن أبي حاتم أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة نصرانياً ، حافظ كاتب ، فلو اتخذته كاتباً ؟ فقال : قد اتخذت إذن بطانة من دون المؤمنين .

قال الرازي : فقد جعل عمر رضي الله عنه هذه الآية دليلاً على النهي من اتخاذ النصراني بطانة .

قال الحافظ ابن كثير : ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين ، وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب .

وقال السيوطي في " الإكليل " : قال الكيا الهراسي : في الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في شيء من أمور المسلمين – انتهى – .

ووجه ذلك ، كما قال القاشاني : أن بطانة الرجل صفيه وخليصه الذي يبطنه ويطلع على أسراره ، ولا يمكن وجود مثل هذا الصديق إلا إذا اتحدا في المقصد واتفقا في الدين والصفة ، متحابين في الله لغرض . كما قيل في الأصدقاء : نفس واحدة في أبدان متفرقة . فإذا كان من غير أهل الإيمان ، فبأن يكون كاشحاً أحرى .

ثم بين نفاقهم واستبطانهم العداوة بقوله : { لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً } أي : لا يقصرون بكم في الفساد .
قال القاشاني : لأن المحبة الحقيقية الخالصة لا تكون إلا بين الموحدين لكونها ظل الوحدة . فلا تكون في غيرها لكونهم في عالم التضاد . بل ربما تتألفهم الجنسية العامة الْإِنْسَانية لاشتراكهم في النوع

والمنافع ، والملاذ واحتياجهم إلى التعاون فيها . والمنافع الدنيوية واللذات النفسانية سريعة الانقضاء فلا تدوم المحبة عليها ، بخلاف المحبة الأولى فإنها مستندة إلى أمر لا تغير فيه أصلاً . انتهى

ذكر السعدي في تفسيره :

نهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهرونهم على سرائرهم أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم { وما تخفي صدورهم أكبر } مما يسمع منهم فلهذا { لا يألونكم خبالا } أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم قال الله للمؤمنين { قد بينا لكم الآيات } أي: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية { لعلكم تعقلون } فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو .

ويقول رحمه الله : هذا تحذير من الله لعباده عن ولاية الكفار، واتخاذهم بطانة، أو خصيصة وأصدقاء، يسرون إليهم، ويفضون لهم بأسرار المؤمنين، فوضح لعباده المؤمنين الأمور الموجبة للبراءة من اتخاذهم بطانة بأنهم لا يألونكم خبالا، أي: هم حريصون غير مقصرين في إيصال الضرر بكم، وقد بدت البغضاء من كلامهم، وفلتات ألسنتهم، وما تخفيه صدورهم، من البغضاء والعداوة، أكبر مما ظهر لكم من أقوالهم وأفعالهم.
فإن كانت لكم فهوم وعقول، فقد وضح الله لكم أمرهم.وأيضا، فما الموجب لمحبتهم واتخاذهم أولياء وبطانة، وقد تعلمون منهم الانحراف العظيم في الدين وفي مقابلة إحسانكم؟
فأنتم مستقيمون على أديان الرسل، تؤمنون بكل رسول أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله، وهم يكفرون بأجل الكتب، وأشرف الرسل، وأنتم تبذلون لهم من الشفقة والمحبة، ما لا يكافئونكم على أقل القليل منه. فكيف تحبونهم، وهم لا يحبونكم، وهم يداهنونكم وينافقونكم، فإذا لقوكم قالوا آمنا، وإذا خلوا مع بني جنسهم، عضوا عليكم الأنامل من شدة الغيظ والبغض لكم ولدينكم.

ويقول عملاق الفكر الإسلامي سيد قطب رحمه الله الذي ذاق حلاوة الإيمان وترجم أقواله بالأفعال يقول رحمه الله في ظلاله :

" إنها صورة كاملة السمات ، ناطقة بدخائل النفوس ، وشواهد الملامح ، تسجل المشاعر الباطنة ، والانفعالات الظاهرة ، والحركة الذاهبة الآيبة . وتسجل بذلك كله نموذجاً بشرياً مكروراً في كل زمان وفي كل مكان . ونستعرضها اليوم وغدا فيمن حول الجماعة المسلمة من أعداء . يتظاهرون للمسلمين – في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم – بالمودة . فتكذبهم كل خالجة وكل جارحة . وينخدع المسلمون بهم فيمنحونهم الود والثقة وهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب والخبال ، ولا يقصرون في إعنات المسلمين ونثر الشوك في طريقهم ، والكيد لهم والدس ، ما واتتهم الفرصة في ليل أو نهار .

وما من شك أن هذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم هذا الرسم العجيب ، كانت تنطبق ابتداء على أهل الكتاب المجاورين للمسلمين في المدينة؛ وترسم صورة قوية للغيظ الكظيم الذي كانوا يضمرونه للإسلام والمسلمين ، وللشر المبيت ، وللنوايا السيئة التي تجيش في صدورهم؛ في الوقت الذي كان بعض المسلمين ما يزال مخدوعاً في أعداء الله هؤلاء ، وما يزال يفضي إليهم بالمودة ، وما يزال يأمنهم على أسرار الجماعة المسلمة؛ ويتخذ منهم بطانة وأصحاباً وأصدقاء ، لا يخشى مغبة الإفضاء إليهم بدخائل الأسرار " .

يقول صالح الفوزان في كتابه الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد

ومن مظاهر موالاة الكفار ، الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين :

قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا }

فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار، وما يكنونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم .

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال : قلت لعمر رضي الله عنه : لي كاتب نصراني ! قال : ما لك قاتلك الله ؟ أما سمعت الله يقول : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } ألا اتخذت حنيفا ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ! لي كتابته، وله دينه . قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله .

قال ابن عثيمين رحمه الله كما في مجموع فتاواه :

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً "

وأخبر أنه إذا لم يكن المؤمنون بعضهم أولياء بعض والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ويتميز هؤلاء عن هؤلاء، فإنها تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

ولا ينبغي أبداً أن يثق المؤمن بغير المؤمن مهما أظهر من المودة وأبدى من النصح فإن الله تعالى يقول عنهم : " ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء "

ويقول سبحانه لنبيه : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " والواجب على المؤمن أن يعتمد على الله في تنفيذ شرعه، وألا تأخذه فيه لومة لائم، وألا يخاف من أعدائه فقد قال الله تعالى: " إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين " وقال تعالى : " فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ".

وقد ذكر سفر الحوالي في كتابه الإيمان ونواقضه :

ومن أعظم ما وقعت فيه الأمة الإسلامية في هذا العصر من نواقض الإسلام: أنها داهنت الكافرين والمشركين وأحبتهم ووالتهم باستشارتهم، بل بتحكيمهم!! والله تعالى يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ [آل عمران:118] سبحان الله العظيم! ما أكبر انطباق هذه الآية على واقعنا.

فيؤتى بالمستشارين والخبراء ويولون ويطلعون على كل شيء، وبالتالي هم يعلنون كراهية هذه المجتمعات وبغض هذه الأمة، ويحتقروها ويسيئون إليها، ولو أن الكافر جاء إلى بلاد المسلمين، فأعطي أعظم المراتب وسكن في أفخم وأعظم القصور ومهد له كل شيء ثم عاد إلى بلاده وسألته صحيفة: ما تقول في تلك البلاد؟ لقال: همج متخلفون، رعاع منحطون لا يفهمون وأخذ يشتمهم، فهذه قاعدة كما قال الله: قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ [آل عمران:118].

6 – وقال سبحانه وتعالى: " وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ قال إنّي جاعلك للنّاس إمامًا قال ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظّالمين "

الإمامة عهد من الله لعباده المؤمنين المتقين بها يقام دينه وشرعه على العباد وفي البلاد وبعباده المتقين تقام أحكام الدين وبهم يقام العدل بين الناس فهي مقام رفيع عظيم

لا حظَّ فيها لكافر معاند لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولا لمسلم ظالم جائر فاجر يعتد على حقوق العباد ، فيعطل حكمه ويبدل شرعه ، فالإمامة عهد من الله لعباده المؤمنين فلا يستحقها إلا من كان أهلا لها من أهل التقوى والدين

فأين أباح الله عز وجل لعباده إعطاء ذلك العهد لكافر أو مسلم جائر ظالم فاجر

أفلا يخجل من ربه من أفتى لكافر أو مسلم فاجر ظالم جائر بجواز عهد ربه ؟؟!!! .

ذكر ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير " لا ينال عهدي الظالمين " :
المراد به المشرك ، لا يكون إمام ظالم . يقول : لا يكون إمام مشرك .

وقال ابن جريج ، عن عطاء ، قال" إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي "
فأبى أن يجعل من ذريته إماما ظالما . قلت لعطاء : ما عهده ؟ قال : أمره

قال شيخ الإسلام كما في الفتاوى الكبرى :

{ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين } فبين أن عهده بالإمامة لا يتناول الظالم فلم يأمر الله سبحانه أن يكون الظالم إماما وأعظم الظلم الشرك

ويقول رحمه الله كما في الفتاوى :

{ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } [البقرة : 124] فعهده بالإمامة لا ينال الظالم، فالظالم لا يجوز أن يؤتم به في ظلمه، ولا يركن إليه، كما قال تعالى : {وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } [هود : 113] فمن ائتم بمن لا يصلح للإمامة فقد ظلم نفسه، فكيف بمن جعل مع اللّه إلهًا آخر .

قال ابن القيم : " قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين " أي لا ينال عهدي بالإمامة مشرك

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية : ليس للظالم عهد وإن عاهدته فانقضه

ذكر ابن عثيمين في تفسير الآية :

" أن الظالم لا يستحق أن يكون إماماً؛ والمراد: الظلم الأكبر ــــــــ الذي هو الكفر ــــــــ؛ لقوله تعالى: { لا ينال عهدي الظالمين }.

ذكر الشنقيطي في أضوائه في شروط الولاية :

" أن يكون عدلا فلا تجوز إمامة فاسق، واستدل عليه بعض العلماء بقوله تعالى: {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} الآية [124/2]، ويدخل في اشتراط العدالة اشتراط الإسلام؛ لأن العدل لا يكون غير مسلم.

يقول سيد قطب في ظلاله :
قوله تعالى : { لا ينال عهدي الظالمين } والظلم أنواع وألوان : ظلم النفس بالشرك ، وظلم الناس بالبغي . . والإمامة الممنوعة على الظالمين تشمل كل معاني الإمامة : إمامة الرسالة ، وإمامة الخلافة ، وإمامة الصلاة . . وكل معنى من معاني الإمامة والقيادة .
فالعدل بكل معانيه هو أساس استحقاق هذه الإمامة في أية صورة من صورها . ومن ظلم – أي لون من الظلم – فقد جرد نفسه من حق الإمامة وأسقط حقه فيها؛ بكل معنى من معانيها .

وهذا الذي قيل لإبراهيم – عليه السلام – وهذا العهد بصيغته التي لا التواء فيها ولا غموض قاطع في تنحية اليهود عن القيادة والإمامة ، بما ظلموا ، وبما فسقوا ، وبما عتوا عن أمر الله ، وبما انحرفوا عن عقيدة جدهم إبراهيم . .

وهذا الذي قيل لإبراهيم – عليه السلام – وهذا العهد بصيغته التي لا التواء فيها ولا غموض قاطع كذلك في تنحية من يسمون أنفسهم المسلمين اليوم . بما ظلموا ، وبما فسقوا وبما بعدوا عن طريق الله ، وبما نبذوا من شريعته وراء ظهورهم . . ودعواهم الإسلام ، وهم ينحون شريعة الله ومنهجه عن الحياة ، دعوى كاذبة لا تقوم على أساس من عهد الله .

أقول : فهل من أفتى وأجاز للنصراني أو غيره من أصحاب الديانات أو الملل أو حتى من بايع مسلما على إمامة المسلمين وهو يعلم أنه لن يحكمهم بشرع الله ، ولن يقيم العدل بينهم وسيأكل حقوقهم ، وينشر الفساد والرذيلة والفسق والمجون بمجتمعهم هل اتبع ملة إبراهيم ، أو كان على ملته ؟؟!!! .

7 – "وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ"

قال ابن كثير : قال ابن جرير يعني بقوله جل ثناؤه" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق

يقول سيد قطب رحمه الله في ظلاله في كلام ماتع وجميل من عالم مسدد وبصير ، كيف لا وهو من باع نفسه رخيصة في سبيل هذا الدين بخلاف من يتسول بالدين ويداهن ويتملق فيه للكافرين :

وسيظل اليهود والنصارى يحاربونك , ويكيدون لك , ولا يسالمونك ولا يرضون عنك , إلا أن تحيد عن هذا الأمر , وإلا أن تترك هذا الحق , وإلا أن تتخلى عن هذا اليقين , تتخلى عنه إلى ما هم فيه من ضلال وشرك وسوء تصور كالذي سبق بيانه منذ قليل :

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم..)
فتلك هي العلة الأصيلة . ليس الذي ينقصهم هو البرهان ; وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق , وأن الذي جاءك من ربك الحق . ولو قدمت إليهم ما قدمت , ولو توددت إليهم ما توددت . . لن يرضيهم من هذا كله شيء , إلا أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق

إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان . .

إنها هي العقيدة . هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة . . إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما ; وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها , ولكنها تلتقي دائما في المعركة ضد الإسلام والمسلمين !

إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها . ولكن المعسكرين العريقين في العداوة للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى , ويرفعان عليها اعلاما شتى , في خبث ومكر وتورية . إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة . ومن ثم استدار الأعداء العريقون فغيروا اعلام المعركة

. . لم يعلنوها حربا باسم العقيدة – على حقيقتها – خوفا من حماسة العقيدة وجيشانها . إنما أعلنوها باسم الأرض , والاقتصاد , والسياسة , والمراكز العسكرية . . وما إليها . وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها ! ولا يجوز رفع رايتها , وخوض المعركة باسمها . فهذه سمة المتخلفين المتعصبين ! ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها . . بينما هم في قرارة نفوسهم:الصهيونية العالمية والصليبية العالمية – بإضافة الشيوعية العالمية – جميعا يخوضون المعركة أولا وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلا , فأدمتهم جميعا **!!!** إنها معركة العقيدة . إنها ليست معركة الأرض . ولا الغلة . ولا المراكز العسكرية . ولا هذه الرايات المزيفة كلها . إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين . ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها , فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا . ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه [ص] ولأمته , وهو – سبحانه – أصدق القائلين

8 – البراءة من الكفار ، وبغضهم وعداوتهم تستوجب عدم ولايتهم على المسلمين وبطلان إمامتهم ومبايعتهم

قال الله تعالى : " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "

وكأني بهؤلاء القوم وهم يجيزون للكافر توليته ومبايعته وجواز حكمه للإسلام وأهله لم يقرؤوا القرآن وإن قرؤوه لم يجاوز حناجرهم

يقول سيد قطب رحمه الله في ظلاله عند حديثه عن الآية : هي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان . وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل . وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين . انتهى كلامه رحمه الله .

9 – "وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّـهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ "

قال ابن كثير في تفسيره : وقوله: {وَلاَ تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ} قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: لا تداهنوا وقال العوفي عن ابن عباس: هو الركون إلى الشرك وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم وقال ابن جرير عن ابن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا وهذا القول حسن أي لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بأعمالهم {فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ} أي ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم ولا ناصر يخلصكم من عذابه.

قال شيخ الإسلام كما في الفتاوى :

{وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } فمن ائتم بمن لا يصلح للإمامة فقد ظلم نفسه،

10 – عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى السَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا ، وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا ، وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ فَقَالَ : " إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ "

رواه البخاري في صحيحة

بهذا الحديث تنقطع الحجج ويقضى به على اللجج ، ويقطع به دابر الذين انبطحوا ، وتعود أقوالهم خاسئة حاسرة وشبهاتهم سراب بقيعة

فبه يحصل منازعة الكفار وجز رؤوسهم وسل السيوف على رقاب كل من حكم بلادنا من غير أبناء أمتنا فما أعظمه من دين وما أعزها من ملة تأبى المهانة والذلة في أن يحكمها من ليس منها

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـــهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـــهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـــهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا "

فقد أمرنا ربنا بالرضا والقبول لحكم أبناء ديننا وملتنا مهما قلّ شأنه وصغر أمره طالما أنه قائم بحكم كتابه وسنة نبيه

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:
"إن أمر عليكم عبد مجدع أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا "
فانظر كيف أن الله جل في علاه ، أجاز لنا الخروج على السلطان إن كان كافرا ولم يرضه لنا حاكما كما في قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :"إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ " ، فلم يرض لعباده المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يحكمهم الكافر حتى وإن كان عادلا ، فكفره علة الخروج عليه ومانع لحكمه ودليل كاف لمنازعته والخروج عليه ومقاتلته فلا ينفع مع كفره إنصاف ولا يشفع لحكمه عدل .

بينما الأمر مع الحاكم المسلم نقيض ذلك تماما فبقاء حكمه وعدم الخروج عليه منوط بإسلامه وإقامة شرعه لا بعدله أو ظلمه وجوره مع بغض الله له إلا أنه لم يجز الخروج عليه

هذا إن لم يكن هذا الظلم والجور فيه مفسدة على الأمة الإسلامية يضيع عليها مصالح محققة جاء الإسلام لحفظها، كحفظ دينهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم
وإلا فإن موالاة الكفار وتعطيل الجهاد وأموال الربا وعدم منع الخمور وأماكن الفسق والرقص والمجون والزنا كل هذا يميت على المسلمين دينهم ويحيي فيهم الكفر والفساد ونشر الرذيلة .

أخرج مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ ، قَالُوا : أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ ، قَالَ : لَا مَا صَلَّوْا "

وجاء عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طاب رضي الله عنه قوله " لا يصلح الناس إلا أمير بر ، أو فاجر ؟! قالوا : هذا البر فكيف الفاجر ؟ قال : " إن الفاجر يؤمن بالله عز وجل وبه السبيل ويجاهد به العدو ، ويجبي به الفيء ، وتقام به الحدود ، ويحج به البيت ، ويعبد الله به المسلم حتى يأتيه الموت "

وإقامة الصلاة لا يفهم منها أداؤها مع تعطيل شرع الله وعدم القيام بأمره فالأمر لا يستقيم فإقامة الصلاة تعني إقامة الدين فهي عمود الإسلام فإن أقيمت قام أمر الدين وإن عطل حكم القرآن والعمل بالسنة فقد فرط بأمرها ،وأضاع حكمها ، ولذلك نجد أن أكثر من يحارب الكفار من المسلمين من كان منهم قائما ومحافظا على أمر الصلاة ومعظما لشأنها عالما لحقيقة أمرها ،ومعنى أن تخضع جبهة وتسجد فقط لله خالقها

فمقصد الإمامة والولاية إنما إقامة دين الله وشرعه وحفظ الإسلام وأهله والقيام على مصالحهم وخدمتهم فهذه وظيفة الحاكم المسلم قال الله تعالى : " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور"

قال ابن تيميَّة في فتاواه :

" المقصود والواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاقم خسروا خسراناً مبينا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا ،وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم "

وسيأتي مزيد من التفصيل في رد شبهة من أجاز تولية الحاكم النصراني بلاد المسلمين .

11- تحريم الإستعانة بهم فيه دليل وبرهان على تحريم ولايتهم لأنه لا يؤمن غدرهم ومكرهم

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : " إنا لا نستعين بمشرك "

يقول الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله :
(فلا تغتروا بأهل الكفر وما أعطوه من القوة والعدة،فإنكم لا تقاتلون إلا بأعمالكم ,
فإن أصلحتموها وصلحت , وعلم الله منكم الصدق في معاملته , وإخلاص النية له ,
أعانكم عليهم , وأذلهم , فإنهم عبيده , ونواصيهم بيده , وهو الفعال لما يريد
فعليكم بما أوجبه الله وافترضه من جهادهم ومباينتهم , وكونوا عباد الله على ذلك إخواناً وأعواناً
،وكلّ من استطاع لهم , ودخل في طاعتهم , وأظهر موالاتهم ,
فقد حارب الله ورسوله , وارتد عن دين الإسلام , ووجب جهاده ومعاداته, ولا تنتصروا إلا بربكم
, واتركوا الانتصار بأهل الكفر جملة وتفصيلاً
فقد قال صلى الله عليه وسلم :" إنا لا نستعين بمشرك" .
الدرر السنية في الأجوبة النجدية 21/8 قسم الجهاد

يقول سيد قطب رحمه الله :
وسذاجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة أن تظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين! أمام الكفار والملحدين! فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين!

قال الكاساني من الحنفية : في بدائع الصنائع

(ولا ينبغي للمسلمين أن يستعينوا بالكفار على قتال الكفار , لأنه لا يؤمن غدرهم , إذ العداوة الدينية تحملهم عليه إلا إذا اضطروا إليهم)
فكان المانع عنده من الاستعانة بالكافر ضد الكافر خوفا أن ينقلب على المسلم فكيف سيكون رده لو علم أن في عصرنا من يبيح الاستعانة بالكافر ضد المسلم لقتله وتحت إمرة الكافر

فكيف بالله عليكم بمن يرى جواز بيعتهم وحكمهم على المسلمين وبلادهم

فقد اشترط أهل العلم في جواز الاستعانة بالكفار وتنبه إلى أهم أرادوا من ذلك الاستعانة بالكافر ضد الكافر وليس ضد المسلم أن يؤمن جانبه ويكون حسن الرأي فيهم وتحت إمرتهم ،لأن هذا من باب تسليط الكفار على المسلمين

فالله تعالى يقول : {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً }

هذا بمجرد الاستعانة فما بالكم بولايتهم على المسلمين

جاء في المبسوط للسرخسي ، قال أبو يوسف :

سألت أبا حنيفة عن المسلمين يستعينون بأهل الشرك على أهل الحرب .

قال أبو حنيفة :

لا بأس بذلك إذا كان حكم الإسلام هو الظاهر الغالب ، لأن قتالهم بهذه الصفة ضد الكفار لإعزاز الدين والاستعانة عليهم بأهل الشرك كالاستعانة بالكلاب .

قال الإمام محمد الشيباني :

" ولا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك على أهل الشرك إذا كان حكم الإسلام هو الظاهر عليهم "

علق السرخسي على هذا الكلام قائلا بأن الاستعانة بهم في هذه المسألة كالاستعانة بالكلاب على قتال المشركين ، ثم قال : إن كان المشركون أهل منعة فإنه يكره الاستعانة بهم .

فما قولكم يا سادة بدعاتنا اليوم وهم يجعلونهم حكاما علينا وهم أهل منعة وقوة وتسلط

قال الشافعي:

إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين به و إلا فيكره، وحمل الحديثين على هذين الحالين

قال ابن حجر في فتح الباري عند قول البخاري (باب استئجار المشركين عند الضرورة) :

قال ابن بطال عامة الفقهاء يجيزون استئجارهم عند الضرورة وغيرها لما في ذلك من الذلة له (

يقول من الذلة لهم ودعانا العصرانيون يريدون اعزازهم وجعلهم سادة وأمراء علينا

يقول ابن قدامة بالمغني :

" ويشترط أن يكون من يستعان به حسن الرأي في المسلمين فإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة به ، لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يؤمن من المسلمين مثل المخذل والمرجف ، فالكافر أولى بالمنع "

أقول :

فأين هذه يا أبناء الإسلام والمسلمين ويا حماة العقيدة من فتوى تأميرهم علينا و ممن أجاز الاستعانة بالأمريكان أعوان اليهود لقتلة المسلمين في فلسطين ، فأين هذا يا أمة محمد من جواز الاستعانة بالأمريكان الذين يطمعون في سرقة أموال العراق وبلاد المسلمين ، فأين هذا يا أحفاد عمر وخالد من جواز الاستعانة بالأمريكان بما يحدث منهم اليوم في العراق وفلسطين والصومال وأفغانستان وغيرها ضد أبناء المسلمين الموحدين

12 – عزة المسلم وعلو منزلته تستلزم منع تأمير الكافر عليه

قال الله تعالى : "وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "

وقال تعالى : " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ "

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ "

فلو لم يكن في كتاب الله عز وجل إلا هذه الآيات لكانت مانعة من حكم الكافر على المسلم . " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"

الفصل الثالث : إبطال اللجج في رد شبهات من أجاز تولية الكافر حكم بلاد الإسلام

قال الله تعالى :" فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَة "
إن من أصول هؤلاء ترك المحكم واتباع المتشابه ، والاحتجاج باختلاف العلماء ، والأخذ بالأقوال الشاذة ،وترك الأصول والتشبث بالفروع .

ودعاة الفتنة وأهل الضلال والبدع سرعان ما يبحثون في أقوال أهل العلم ليجدوا لهم قولا يستشهدون به على صحة باطلهم وإن لم يكن له حظ من الصواب، مع إهمال كل الأوجه المعتبرة والأخذ بالأقوال المرجوحة والتي تتناسب مع معتقداقم وتتماشى مع شبهاقم ، فيعتمدون القول المرجوح على الراجح
ومن عادة إفلاس هؤلاء اعتمادهم على القياس الفاسد عندما تعجزهم الحجة ، فلا اعتبار لديهم لأصل ولا معرفة لحقيقة فرع ولا وجود لعلة مشترك ، واعتمادهم غالبا ما يكون على الأوصاف الطردية .

وسنحاول في هذا الفصل صد عدوانهم على الشريعة وإبطال لججهم وحججهم الواهية فأقول وبالله التوفيق وبه أصول وأجول :

1 – إبطال شبهتهم الأولى : حكم الكافر العادل مقدم على المسلم الجائر

زعم هؤلاء أن الأمم والشعوب تقام بالعدل ، وتدال بالظلم ، فأجازوا بذلك حكم الكافر على المسلم إن كان عادلا ، وقدموه على حكم المسلم إن كان جائرا

ولعمري كيف تجرأ هؤلاء الفئام على شريعة الرحمن بهذا الفقه المعوج والشنيع حتى خرج منهم هذا القول الفاسد ، ولديهم من الأدلة الشرعية ما يبطل تولية الكافر بما لا يدع مجالا للريبة والشك كما بيناه آنفا

لقد غفل هؤلاء أو جهلوا أو تجاهلوا ، أن المصلحة الكبرى والمقصد الأكبر هو عبادة الله والتي لا تكتمل إلا بتحكيم شرعه وبالشرع يكون العدل ، وبه تتحقق مصالح العباد الدينية ، والدنيوية ، ويسود الأمن والأمان .

فالحاكم المسلم عدله قائم من شرع ربه ، لا بما يمليه عليه اعتقاده وفكره ، فالعدل عند الخلق ليس كالعدل عند الرب ، بل إن العدل لا يعرف طريقه إلا ما كان من هدي الله لخلقه ، وبدون تحكيم شرع الله لن يكون عدل ، وبدون الحاكم المسلم الذي يحكم بشرع الله لن يسود العدل في البلاد وبين العباد .

ومن لوازم ومتطلبات العدل عند البشر باالدساتير الوضعية ترك القصاص ، ومن لوازم العدل عند العبد المساواة بين الرجل والمرأة ،وبين كل الناس في الواجبات والحقوق ، فالكافر كالمؤمن ، والمرأة كالرجل ، والفاسق كالصالح

ومن لوازم العدل عند العبد في ظل الديمقراطية وتحت قبة البرلمان تقديم اختيار الشعب على حكم الله ، فأيهما جمع أكبر عدد من الأصوات كان المقدم ، وإن كان حكم الله هو الأقل صوتا فحينئذ هو المؤخر عياذا بالله .

ومن لوازم العدل ومتطلباته تقديم الحرية على الدين ، فهي المصلحة الكبرى والمقصد الأكبر للإنسان عند هؤلاء فمن شاء أن يرتد عن دينه فليس لأحد أن يمنعه أو يقيد حريته فحرمة الدين مباحة غير مصانة عند هؤلاء، يدخل فيه من يشاء ويخرج منه من يشاء ، ومن شاء أن يشرب الخمر فله الحرية في ذلك ، ومن شاءت أن تتعرى فليس لأحد أن يمنعها ، لا يحق للأب أن يضرب ابنه أو يعاقب ابنته أو حتى زوجته .

ومن لوازم العدل احترام الأديان ، والسماح لهم بممارسة شعائر كفرهم بالعلن من غير اعتبار لحرمة الإسلام وأهله ودولته التي يعيشون في ظل حكمها ، ولهم أن يدقوا الناقوس دقا مسموعا عاليا كما نرفع نحن الآذان ، ولهم أن يعلموا الإنجيل والتوراة كما نعلم القرآن ، ولهم أن يشتري ويبيعوا ويأكلوا الخنزير كما نشتري ونبيع ونأكل الأغنام .

لا فضل لمسلم على كافر فكلنا سواسية وشركاء في الوطن والإنسانية ؟؟!!! . فالعدل يدعو إلى المساواة بين الأديان والشعوب .

ونقول لهؤلاء إن كنتم دعاة إسلاميون ومصلحون لا زنادقة وجواسيس على الإسلام وأهله إن أردتم معرفة العدل فإن ميزانه الشرع ، الذي لا يقوم به إلا الحاكم المسلم الذي يحكم بشرع الله لا ميزان الدساتير البشرية القائمة على العقول الآسنة .

فحفظ الدين وقيام شريعة الرحمن هي المصلحة الكبرى والمقصد الأكبر وبها تتحقق مصالح العباد في الدنيا والآخرة ، لذلك كان حفظ الدين مقدم على حفظ النفس ، حتى جعل الإنفاق بالمال وبذله قوام هذا الجهاد من أجل حفظ الدين وبلاد المسلمين خوفا من أن تمكين كافر لحكم بلاد المسلمين فكيف يفتى بعد ذلك لكافر بحكم بلاد الإسلام

ستقولون وماذا لو كان الحاكم المسلم جائرا وظالما ؟؟

الجواب على هذا السؤال لا يحتاج منا إلا جهد وعناء فقد بين لنا الشرع ذلك على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كما في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ ، قَالُوا : أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ ، قَالَ : لَا مَا صَلَّوْا "

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في منهاج السنة : " ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه و سلم لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته

والله تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم وكل باغ كيفما كان ولا أمر بقتال الباغين ابتداء بل قال " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل " فلم يأمر بقتال الباغية ابتداء فكيف يأمر بقتال ولاة الأمر ابتداء ". انتهى

قال الطحاوي في عقيدته المشهوره : " ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله عليه و سلم إلا من وجب عليه السيف ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا نترع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز و جل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة "

و قال الإمام أبو عثمان الصابوني في "عقيدة السلف و أصحاب الحديث" :
"و يرى أصحاب الحديث الجمعة و العيدين و غيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم– برا كان أو فاجرا- و يرون جهاد الكفرة معهم - و إن كانوا جَوَرَةٌ فجرة –
ويرون الدعاء لهم بالإصلاح و التوفيق و الصلاح–و بسط العدل في الرعية - ولا يرون الخروج عليهم بالسيف - و إن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجَور و الحيْف– و يرون قتال الفئة الباغية , حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل"

ويقول ابن قدامة رحمه الله في "لمعة الإعتقاد ": " و من السنة السمع و الطاعة لأئمة المسلمين و أمراء المؤمنين-برّهم و فاجرهم -ما لم يأمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله .و من ولي

الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به, أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة و سُمّي أمير المؤمنين , وجبت طاعته و حَرُمت مخالفته والخروج عليه و شق عصا المسلمين"

فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الحاكم المسلم الذي يحكم بشرع الله على وجوب السمع والطاعة له ، وعدم الخروج عليه وإن كان ظالما وجائرا ، ومن هنا يظهر لنا جليا أن الحاكم المسلم وإن كان ظالما مقدم على الحاكم الكافر وإن كان عادلا

لكن يبقى سؤالا آخرا ملحا ، ما حدود هذا الظلم والجور ، وضابطه ؟؟!!! طالما أننا قدمنا حكمه على حكم الكافر العادل ولا بد ، هل تترك له الأنفس يزهقها في غياب العدل وتحكيم الشرع في سبيل الحفاظ على كرسيه

وهل تترك له الأموال يستبيحها بالضرائب ، والسرقات وارتفاع الأسعار ونهب الثروات في سبيل الحفاظ على ملكه ، والعيش في قصور فاخرة ، ويخوت فارهة ، ويحيى حياة البذخ من البطون الجائعة ،

وهل يترك له توزيع المال وتقسيم ثروات الشعب و الوطن على عائلته وأقاربه وأصدقائه وهدره بدفع الرشوة لمؤيديه لغض الطرف عنه وللعمل على حماية كرسيه في سبيل أن تمتلئ كروشهم وجيوبهم .

والجواب على ذلك أقول وبالله التوفيق : إن هذا الفعل من ذلك الحاكم لا يلزم منه تولية حاكم نصراني كافر أو من أي ملة أخرى من غير ملل الإسلام ولا يوجد أي ملازمة بين ما يقوم به من ظلم وجور جاوز به الحد على تجويز تولية نصراني بدلا منه لأن الواجب في هذه الحالة إن قام الحاكم بما يفسد فيه البلاد والعباد

ويضيع عليهم مصالحهم الدينية والدنيوية ، وقد تعدى الظلم والجور من الأفراد إلى عامة الشعب ، فلا بد من عزلة والخروج عليه بما يحفظ على المسلمين مقاصدهم الكبرى التي عملت الشريعة الإسلامية على حمايتها ، فمتى أفسد الحاكم على المسلمين دينهم ودنياهم سقطت ولايته ، ووجب القيام عليه وإقامة حاكما مسلما عليهم يحفظ عليهم دينهم ودنياهم .

وعندما تتكلم الشريعة في نصوص الكتاب والسنة على وجوب العدل وتحريم الجور والظلم وأن الدول تدال بالظلم حتى وإن كانت مسلمة وتقام بالعدل إن كانت كافرة لا يراد منه تجويز حكم الكافر على المسلم وإنما على وجوب العمل بالعدل والقيام به ونبذ الظلم والتحذير والتخويف من عاقبة أمره ليتخذ المؤمنون حاكما مسلما عادلا يصلح به أحوال دينهم ودنياهم

وإلا ما حاجة المجتمع المسلم الذي يتمتع بالسواد الأعظم بالدولة الإسلامية في أن يختار حاكما كافرا، مع قلة عدد الكفار ويترك اختيار مسلما مع كثرتهم ، هل عدم العدل في المسلمين فلم يجد هؤلاء إلا النصارى أعداء الدين ، فأي عدل هذا ، وأي سبة لأهل الإسلام من هذا الهذيان والخذلان .

الشبهة الثانية : قولهم أن الشروط التي نص عليها العلماء في الحاكم تختص بالخليفة الأكبر، وتخبطهم بين مفهوم الولاية ، العامة والولاية الخاصة .

لما عجز هؤلاء على إثبات شبهتهم وإيجاد دليل لها من الشرع ، عمدوا إلى مخرج من هذا المأزق ، فصادموا النصوص الشرعية بأهوائهم وشهواتهم وقدموا مفهوم العقل على منطوق النقل ، فزعموا أن هذه الآيات والأحاديث إنما جاءت في حكم الخليفة الأكبر ، أو الولاية الكبرى على المسلمين، وما كان منها من ولايات أخرى في بعض البلدان أو الأماكن التي يحكمها أمراء خارج سلطة الخليفة الأكبر، فإنه لا يكون للحاكم فيها من الشروط التي للخليفة الأكبر.

وبهذا يكون هؤلاء قد عملوا على إضعاف وإسقاط جميع الأدلة التي نصت على منع وتحريم تولية الكافر حكم بلاد المسلمين، وإعطائه الشرعية لحكم المسلمين وبلادهم
لأنها تختص بالخليفة الأكبر بزعمهم .

وهذا التفريق لا أصل له ولا دليل عليه ، وسببه جهلهم لمفهوم الخليفة الأكبر

وإلا فما الفرق بين الولاية الكبرى التي يتقلد شؤونها الخليفة الأكبر في كل بلاد المسلمين وفي وجوب كونه مسلما ، وبين الحكام المستقلين من الذين يحكمون بعض الولايات طالما أن لكل واحد

منهما ذات الولاية التي للآخر ، وهي إقامة دين المسلمين ، والقيام على مصالحهم ، وحفظ بلادهم ، ومن غير أن يكون لأحد منهم بيعة في عنق الآخر .

أم أن هذا التفريق تكريس لمعاهدة سايكس بيكو وتنفيذ لمخططات الأعداء ؟؟؟!!

إن الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم الذي يحكم أي بلد من بلاد المسلمين
هي ذات الشروط التي يجب أن تتوفر فيما لو كان الحاكم لتلك البلاد إماما واحدا

فهل من شرط الخليفة الأكبر الذي يحكم بلاد المسلمين ، أن يقيم الدولة الإسلامية ويحكمها بشرع الله ،ولا يشترط هذا لحكام البلاد الإسلامية في الأقاليم الأخرى ، عندما تقسم البلاد ، ويستأثر كل واحد منهم بالحكم ،

فيكون من الجائز لكل منهم العمل على قيام الدولة المدنية ، وترك العمل على قيام الدولة الإسلامية ، والاكتفاء بأن يكون الإسلام المصدر الرئيس ، ويشاركه في التشريع غيره من القوانين كونه ليس وحيد .

إن وظيفة الحاكم المسلم ـــــ ولا للمسلمين حاكما إلا أن يكون مسلما ـــــ سواءً كان هو الخليفة الأكبر ، أو كانوا حكاما على عدة ولايات أو دويلات إسلامية ، استأثروا بالحكم بعد أن انفصلت دولهم ، وانقسمت عن الدولة الأم بفعل الاستعمار الصليبي

وظيفة هؤلاء الحكام العمل على قيام الكليات الخمس التي جاء الإسلام لصيانتها والحفاظ عليها فهي وظيفة كل حاكم يحكم بلاد المسلمين ، وأي حاكم أخل بشيء من ذلك نقضت بيعته فواجب الجميع ، تسيير أمور الدولة الإسلامية الداخلية ، والخارجية بما يتوافق مع شرع الله ، وحماية المسلمين ، والقيام بمصالحهم ،والحفاظ على دينهم ، وأعراضهم ، ودمائهم ، و وأموالهم ، والجهاد في سبيل الله لعزة الإسلام والمسلمين ، وحفظ بلادهم واسترجاع حقوقهم ، وفك أسراهم ، وعدم موالاة الكفار ، والعدل بين الرعية ، ونصرة المظلوم ، والأخذ على يد الظالم

كل هذه الواجبات وغيرها ، تقع على عاتق كل حاكم سواءً كان خليفة أكبرا ، أو حاكما على ولاية من ولايات المسلمين مستقلا بالحكم عن غيره .

فلا فرق بين الولاية الكبرى والصغرى في انتزاع تلك الأحكام عن أي منها في حال انفصالها وانقسامها واستئثار كل أمير بحكمه وإمارته فلا بد من إنزال تلك الأحكام على كل ولاية ، وفي كل زمن ، وعلى وجوب العمل بتلك الأحكام ، فإن الله عز وجل عندما أمر المسلمين للقيام بحكمه لم يختص بشرعه لحاكم دون حاكم ، أو شخص دون شخص ، أو ولاية دون ولاية .

قال الله تعالى : " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم "

يوسف عليه السلام لما كان حاكما على خزائن مصر، في دولة كان حاكمها كافر بالله لم يرض عليه السلام ، إلا بحكم الله قال الله تعالى عن يوسف : " إن الحكم إلا لله " .

وسيأت الحديث إن شاء الله في رد شبهتهم في جواز حكم الكافر على المسلم كون يوسف عليه السلام حكم في ظل كافر ، وإنما مرادنا هنا بيان أن الحكم لا يكون إلا لله سواء كان خليفة أكبر أو حاكما على ولاية فلا وجود لدولة علمانية أو مدنية أو ليبرالية أو ديمقراطية مهما كبرت الدولة أو صغرت أو انقسمت وانفصلت ولو كانوا ثلاثة أشخاص في خيمة ، فالحكم لا يكون إلا لله بين الأفراد والشعوب والدول والدويلات .

وإنما مراد أئمة الإسلام عند حديثهم عن الولاية الكبرى والصغرى ، أو عن الأمير والخليفة الأكبر للمسلمين ،

فمرادهم من الولاية الصغرى من يوليه الحاكم الأكبر ولاية احدى البلاد الخاضعة لحكم الخليفة الأكبر ، أو جعله إماما على الصلاة ، أو مسئولا عن الزكاة ، أو الخراج أو قائدا على جند المسلمين ، وهو تحت إمرة الخليفة وله بيعة في عنقه

فهذه هي الولاية الصغرى وذلك هو الأمير الذي قصدوه من قولهم الولاية الصغرى ،

لا الحاكم أو الأمير الذي يحكم المسلمين في بلدة ما ، وعندما لا تخضع دولته لولاية الخليفة الأكبر ولا بيعة له في عنقه ، كما كان في الأندلس أو بعض شمال أفريقية
فتسمية الخليفة الأكبر إنما جاءت لتفريقه عن الأمراء والحكام الذين هم تحت إمرته ، وله البيعة في أعناقهم ، فهم يحكمون في الولايات الواقعة تحت تصرفه ، وضمن حدود الدولة الإسلامية الخاضعة لملكه ، لا يخرجون عليه ، وله عليهم السمع والطاعة ، فهم موظفون عند خليفة المسلمين متى شاء عزلهم ومتى شاء ولاهم ، لا أنهم مستقلون عنه بالحكم .

فهذا هو الخليفة الأكبر المقصود عند أئمة الإسلام عند الحديث عنه
فهم لا يشترطون لغيره من الولاة ما يشترطون له ممن هم تحت إمرته .

إذا فالخليفة الأكبر صاحب الولاية العامة من يحكم المسلمين ، وغيره من الأمراء يحكمون بأمره ، وهم أصحاب الولايات الخاصة من قبل الخليفة .

وهذا الخليفة صاحب الولاية العامة هو الذي يجب أن تتوفر فيه الشروط عن غيره من الأمراء أصحاب الولايات الخاصة ، ممن هم تحت إمرته
أما غيره من الأمراء الذي يتم تنصيبهم من قبل الخليفة فلا يلزمهم من الشروط ما يلزم الخليفة الأكبر ، كشرط القرشية ، ووجوب البيعة كونها حق له لا واجب عليه ، وجعل أمر الجهاد منوط به لا بغيره .

بخلاف الحاكم الذي لا يخضع لحكم ذلك الخليفة لسبب ما ، سواءً استقل عنه بالحكم ، وانفصل عن الدولة الإسلامية ، في كون هذا الانفصال سببه الخروج ، أو الاستعمار كما هو حاصل الآن ، فإن لهؤلاء الحكام من الشروط ما للخليفة الأكبر من أحكام ، من غير إخلال بأي شرط منها ، مع

الوجوب على وحدة الصف وإعادة الأمر على ما كان عليه قبل انقسام تلك الدول واستئثار كل حاكم بولاية من ولايات المسلمين .

ومن هنا يتبين لنا الإستدلال الباطل ، والقياس الفاسد ، والفهم المغلوط ، والقول المنكود ، الذي جعل دعاة الإرجاف ، والخذلان وقاديانية هذا الزمان ، لا يشترطون الإسلام لمن يحكم بلاد الإسلام اليوم ، فلا يفرقون بين الأمراء الذي نصبهم الخليفة الأكبر كونهم من رعيته وتحت إمرته ، له عزلهم وتوليتهم متى شاء ، وبين حكام المسلمين اليوم الذين يستقلون بالحكم وإمرتهم لا تخضع لحاكم أو أمير بل هم الحكام وهم الولاة الذين لهم ادارة البلاد وتصريف شؤونها العامة والخاصة بتوظيف أعوانا لهم وأمراء ووزراء على البلاد التي تخضع لحكمهم ، فهم يقومون بنفس الدور المنوط بالحاكم والخليفة الأكبر وعليه فلهم من الشروط والواجبات ما للحاكم الأكبر

وهذا القياس الفاسد من هؤلاء ، تدليس ما بعده تدليس ، وغش وخذلان للإسلام والمسلمين .

هذا وقد حدثت الانقسامات في الدولة الإسلامية وظهرت دول في اطرافها ووسطها ، كالدولة الأموية في الأندلس ، ودولتان للخوارج الأباضية والصفارية ودولة الأدارسة والأغالبة والدولة الطولونية والإخديشية في مصر وكدولة بني حمدان في حلب ، والدولة الأيوبية في الشام ، وغيرها من الإمارات والدول .

ومع وجود ذلك الانفصال النكد ، والانقسام وكل تلك الدويلات التي فتت من عضد الدولة الإسلامية ، إلا أن أحدا منهم لم يعلن خروجه عن الدولة الأم ، أو رفع راية الخلافة ، بل إن عبد الرحمن الداخل بعد وصوله لإمرة الأندلس، وبعد أن أنتزع العباسيون من أجداده وأعمامه ملك بني أميه ، وقتلوا منهم وشردوا أكثرهم حتى نبش السفاح قبورهم ، لم ينفصل عن الدولة الأم ، وما كان منه إلا الدعاء للخليفة لعدة اشهر واكتفى بلقب أمير ولم تعلن خلافة في الأندلس مدة 178 سنة ، فلم يتخذوا من الأحكام الوضعية دساتيرا يحكمون بها بحجة أنهم حكاما مستقلون عن الخليفة الأكبر ،وكان أول وجود لخليفتين في آن واحد سنة 297 للعبيدين ومن ثم للأمويين في قرطبة سنة 316 ثم عاد الأمر إلى وجود خليفتين سنة 403 بعد انتهاء خلافة قرطبة ومجيء ملوك الطوائف ، ومن ثم عاد الأمر إلى خلافة واحدة إلى أن سقطت بغداد سنة 656 .

ومع هذا لم يقل أحد من هؤلاء أن من انفصل وخرج عن الدولة الأم واستقل بالحكم لا يجب عليه ما يجب على الخليفة الأكبر ، وأن أمر الجهاد لم يعد منوط به ، ولم يقل أحد منهم أن الدولة الإسلامية خرجت من دولة إسلامية إلى دولة مدنية ، ولم يقل أحد منهم أو أفتى بجواز حكم الكافر للمسلمين .

هذا انتكاس في المفاهيم وخيانة وخذلان للإسلام والمسلمين ، بل القائل بهذا القول المرذول والمنقوص ، يشك في ولائه للإسلام وأهله ، وتدور حوله الشكوك والشبهات في موالاته للكفار وملتهم .

وحال حكام المسلمين اليوم وهم يستقلون ببعض أجزاء من البلاد الإسلامية وحكمها تحت إمرتهم كحال من انفصل عن الدولة الإسلامية في بعض مراحل عجزها وضعفها ، فعلى الحكام المستقلين من الواجبات والشروط كتلك التي كانت على عاتق خليفة المسلمين ، ومن ينصبهم الحاكم أو الرئيس اليوم من أمراء أو حكاما إداريين ، أو وزراء ، لهم نفس الحكم الذي كان لأمراء البلاد التي كان ينصبهم خليفة المسلمين

فلا معنى حينئذ للتفريق بين حاكم اليوم وخليفة الأمس لتمكين الكافر من حكم بلاد المسلمين ، وإلا لم الاعتراض على حكم اليهود لفلسطين وعندهم من العدل ما لا يوجد عند كثير من حكام المسلمين

أقول هذا وإذا بأحد دعاة التغريب وأحد دعاة التحريض على منهج أهل السنة المدعو محمد سليم العوا ، والذي من عادته أن يلتف على النصوص الشرعية ، فيحرفها ويطوعها لتكون خادمة للأحكام الكفرية ومناسبة لرضا أمريكا والغرب فهو يقبل أحكامهم كما هي ويطوع أحكام اشرع لتكون خادمة لمتطلبات الغرب

زعم هذا القزم أن الخلافة مخترعه من الصحابة يريد من ذلك إبطالها للعمل على قيام دويلات يحكمها أمراء وحكام حتى ولو لم يكونوا مسلمين لأن في اعتقاده أن الحاكم الذي يجب أن يكون مسلما هو فقط الخليفة الأكبر، في تصوره أن الخليفة الأكبر هو الذي يحكم كل بلاد المسلمين ولو حكمها آخر لتزع عنه هذا اللقب ، ولتسلم له بذلك الفتوى بجواز حكم الكافر على بلاد المسلمين

نقول له : أ " سايكس بيكو " خير عندك من اختراع الصحابة أيها القزم المستعرب ؟؟!!!

كيف تكون الخلافة من اختراع الصحابة يا عوا ، والإسلام دعا إلى التوحد وجمع الصف ووحدة الكلمة ، ونهى عن التشرذم والخلاف

هل منبع التشرذم والاختلاف ،وشق العصا ، وتفرق الصف إلا وجود هذه الدويليات وتلك الانقسامات ،

إن كان العوا ومن كان على فكره وشاكلته من دعاة التغريب وشق الصف يقبلون بتقسيمات الغرب للدول الإسلامية فما الذي يمنع العوا أن لا يقبل بخَمسِ دول يخطط لها الغرب الآن في مصر ، وثلاثة دول في العراق ، ودولتان في السودان ، وهكذا دواليك حتى لا يستأثر حاكم ويتسلط على العباد والبلاد بمفهوم العوا، أم أننا نخضع لإرادته وحد فهمه ولما يراه مناسبا وكافيا لذلك التقسيم والتبعيض البغيض .

الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ليسوا من أخترع مفهوم الخلافة ، فالخلافة مفهوم ومصطلح ووصف قائم بحد ذاته على من كان على حالهم ، فإنهم من فتحوا تلك البلاد ، وأقاموا فيها حكم الإسلام في بلاد الجزيرة العربية حتى اليمن جنوبا وفي بلاد الشام شمالا ، وأنطاكيا وقبرص ومصر شرقا ، حتى وصلك الإسلام اليوم وأصبحت بفضل الله ثم خلافتهم وفتوحاتهم مسلما !!! .

وقد استلم الخلافة من جاء بعدهم فكانوا على العهد ، فرفعوا راية الجهاد حتى بلغوا القسطنطينية وقرطبة ، وفرنسا ، وخراسان ، وبلاد الهند ، حتى وصلوا الصين في كل تلك العهود

لم يعترض أحد من بعد الخلفاء على وجوب نبذ الخلافة ، وكان الخارج عنها شاق لعصا المسلمين ، ولا يزالون يقاتلون من أجل إقامة الدولة الواحدة والخليفة الواحد حتى سقوط بغداد سنة 656

حتى جاءت الدولة العثمانية فأكملت مسيرتهم وسارت على خطا جهادهم وإقامة دولة المسلمين وتنصيب خليفة للإسلام والمسلمين ، إلى أن جاء أسيادك من المستعمرين ، ووظفوا أشباهك من المستشرقين ، فشقوا عصا المسلمين وفرقوا الصف وقسموا البلاد ليسودوا ، ثم جئتنا لتنشر وتذيع

وتؤيد وتنصر خططهم وتقسيماتهم بأفكارك الغربية زاعما أنها من اختراع الصحابة تريد التقليل من شأنها وعدم أهمية وجودها ، وتسفيه أصحابها

إن كان هذا الاختراع من فعل الصحابة فنعم الاختراع ــ يا عوا ـــ فهو أعظم وأفضل من اختراع ديمقراطية أسيادك التي شنفت مسامعنا بها

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ "

اختراعهم هذا إجماع لم يعارضه ولم يختلف عليه أحد منذ أن تولوا أمر العباد والبلاد
اختراعهم هذا قائم على الوحدة الإسلامية وقيام الشريعة الإسلامية .
وتقسيم البلاد الإسلامية وحكمها من أكثر من حاكم قائم على الوحدة الوطنية النتنة والشراكة في الوطن ، بين جميع الملل حتى يصبح الكافر في الحقوق والواجبات كالمسلم

وشرعية دويلاتك قائم على الديمقراطية التي جئتنا بها من أسيادك الكفار ، يناصرها الليبرالي ، والعلماني ، والكافر ، والفاسق ، والمنافق ، والضال ، والمبتدع ،ودعاة الانحلال من المطربين والممثلين الفساق والفجار، ولكل هؤلاء كلمة في انتخاب حاكم البلاد وإن كان فاجرا فاسقا أو كافرا لا يهم طالما أنه نجح بالانتخابات الديمقراطية القائمة على قوانين الكفر

واختراع الصحابة للخلافة الإسلامية بزعمك لا يعجبك ، وهي القائمة على الشورى من أهل الحل والعقد من المسلمين ، لتنصيب من يحكمهم ممن هو أهل لها من أهل الدين والتقوى
فهل تستوي دعوتك لعدم قبول الخلافة المخترعة من الصحابة وبين دعوتك لقيام ديمقراطيتك العفنة

الشبهة الثالثة : استدلالهم بقصة يوسف عليه السلام على جواز حكم الكافر للمسلم

من عادة أهل الضلال والبدع مصادمة النصوص والالتفاف عليها، ، وتقديم عقولهم على نصوص الكتاب والسنة ، وتطويعها خدمة لأهوائهم ، إلا أن الله عز وجل قيض لهذه الأمة من العلماء المخلصين ، من يذب عن حياض الدين ، فينفون عنه تحريف الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الغالين ، يبصرون الأمة بدين ربهم وسنة بيهم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ويحذرونهم من دعاة الزيغ والضلال ، فنصر الله بهم الدين وحمى بهم جانب التوحيد ومعتقدات الأمة وأصولها ، فسدت الطرق على أهل البدع وجفت منابع أهوائهم ، فما ترك لهم دعاة الأمة من خلة إلا وأغلقوها ، فأصلوا وقعدوا وصححوا وضعفوا فبهم أنار الله السبل .

ونحن اليوم أمام حجة زائغة من حجج أهل الضلال والبدع ، وهم يستدلون على باطلهم بقصة يوسف عليه السلام وتوليه خزائن مصر عندما كان يحكمها كافر .

فاتخذوها حجة لهم للوصول إلى أغراضهم حتى جعلوا منها مرتكزا لأفكارهم ومعتقداتهم وحجة لكل شاردة وواردة فأجازوا بها حكم الديمقراطية ، وحكم الكافر للمسلم

وللرد على قياسهم الفاسد في جواز مبايعة الكافر وجعله حاكما على المسلمين وبلادهم

أقول : ألم تكن مصر يحكمها عزيزها الكافر منذ أن قدم إليها يوسف عليه السلام وهو غلام صغير

أولم يعش في كنفهم وقد كانوا كفارا يعبدون الأوثان

فهل بايع يوسف عليه السلام عزيز مصر حاكما عليها ؟؟!!!

وهل كان ليوسف عليه السلام من الأمر شيء في تولي عزيز مصر الملك والحكم

وعندما تولى يوسف الوزارة ، هل كان للملك سبيل على يوسف عليه السلام في حكمه أو حتى في معيشته ، وهل كان يوسف تابعا للملك في سلطانه وقضائه

ألم يكن يوسف عليه السلام منقادا في حكمه لله ، كما قال تعالى عنه في كتابه :
" إن الحكم إلا لله " ألم يكن مطاعا من قبل الرعية ، ممكنا من قبل الملك ليس خاضعا لحكمه ولا لنفوذه في وزارته
أليس الملك هو القائل ليوسف عليه السلام كما قال الله تعالى : " إنك اليوم لدينا مكين أمين "

لقد كان يوسف عليه السلام أمينا على خزائن مصر ، ولم يكن في حكمه تابعا لأحد
ولم يكن لأحد سبيل أو سلطة عليه ، فقد كان صاحب إمارة مستقلة لا تخضع لقوانين الكفر ، أو أي نظام وضعي

إذن فإن عزيز مصر كان حاكما لمصر ، فلم يبايعه يوسف حاكما عليها ، ولم يكن حاكما ليوسف عليه السلام وقد كان ليوسف القدرة والتمكين وحرية التصرف واتخاذ القرار .

فمن يتخذ من قصته مع الملك الكافر دليلا على صحة مبايعة الحاكم الكافر لولاية المسلمين وحكمهم فقد ازدرى بسيدنا يوسف عليه السلام ، وقال عنه ما ليس فيه .

فليحذر على نفسه وليتق الله كل من تسول له نفسه بالتسلق على قصة يوسف عليه السلام
واتخاذها سلما لتمرير شبهته المعطوبة حتى لا يكون يوسف عليه السلام خصيما له يوم الدين
وإن كان في قصة يوسف عليه السلام ما يستدل به على جواز تولية الكافر الحكم تنزلا

فإن الدليل الشرعي قد ثبت لدينا أنه لا يجوز تولية الكافر حكم بلاد المسلمين
ويجب الخروج عليه إن تبين منه الكفر الواضح والصريح فكيف إن كان كافرا أصلا
وقد تكلمنا عن هذا في المبحث السابق
وأمر آخرا : أن عزيز مصر كان كافرا، ويحكم بلدا كافرا، فكيف يستدل بحكم كافر لبلد كافر ولشعب كافر ، على بلد مسلم وشعب مسلم ؟؟!!!
مع وجود نص صحيح وصريح عندنا على تحريم ذلك

لقد اعتاد هؤلاء الخروج علينا بقياساتهم الفاسدة وهذا دليل إفلاسهم وضعف حجتهم

فعندما يعجزهم الدليل يأتوك بنص لا حجة لهم فيه ولا برهان فيستدلون بها على حادثة في هذا الزمان ، مع وجود دليل ، ونص واضح وصريح ، على بطلان استدلالاتهم ، ومع ذلك يأبى هؤلاء ،إلا مصادمة النصوص الصريحة بأقيستهم الفاسدة خدمة لأهوائهم

الشبهة الرابعة : استدلالهم بهجرة المسلمين إلى الحبشة في ظل حكم النجاشي

أولا : لا بد لنا من التفريق كما أسلفنا في كون النجاشي حاكما عليهم ، وبين مبايعته حاكما لهم . فإن كان النجاشي حاكما عليهم فيما جاؤوا فيه من طلب النصرة والحماية ، فلا يلزم من ذلك مبايعته لهم على أن يكون حاكما لهم في أمور حياتهم ، وتدبير بلادهم ، وشؤون دينهم .

فإن كان حاكما عليهم فلا يصح استدلالهم على ذلك بحكم الكافر للمسلمين اليوم ومبايعته له ، وهم يريدون من الكافر أن يكون حاكما للمسلمين في بلادهم في شؤونها الداخلية والخارجية، وحاكما عليهم في شؤون حياتهم في ظل الديمقراطية وتحت قبة البرلمان

وإن كنا لا نقبل كونه حاكما لنا فلا نقبل كذلك أن يكون الكافر حاكما علينا ، لأن قصة النجاشي كانت يوم لم تكن أحكاما شرعية ، أما بعد اكتمال الدين فلا حكم إلا لله ، ولا نقبل أن يحكمنا إلا من ينفذ شرع الله فينا ، والكافر ليس أهلا لذلك .

واستدلالهم بقصة النجاشي لا تختلف عن قصة يوسف ، وعزيز مصر من حيث سوء الاستدلال ، بل تزيد عليه فسادا وبطلانا ، ذلكم أنهم زعموا أن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أمر المسلمين للذهاب إلى النجاشي وهو كافر بسبب عدله ، فجوزوا حكم الكافر للمسلم استدلالا بهذا القياس الفاسد طالما أن الرسول قبل أن يكون الكافر حاكما لهم وعليهم ، وهذا تقول وكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فقد كانت بيعتهم للرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فكيف قبل صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يكون عليهم حاكما لهم غيره صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

فقولكم الفاسد هذا على أن رسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قبل أن يكون النجاشي حاكما لهم ، دال على نبذ ونقض ونزع مبايعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فإما أن يكون الرسول حاكمهم أو يكون النجاشي حاكمهم
فإن قبلوا النجاشي حاكما لهم كما زعمتم ، فقد خرجوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

فإن قلتم إنما كان النجاشي حاكما عليهم لا لهم ، قلنا لكم لكنكم تستدلون بذلك الحكم عليهم على حكم الكافر للمسلمين ، وتستشهدون بحمايته للمهاجرين وطلب النصرة منه على مبايعة الحاكم الكافر في جواز توليه على البلاد وللعباد ، ولا تقفون على أن مجرد اللجوء إليه من أجل حمايتهم ونصرهم لأمر عارض لا يستلزم دوام حكمه عليهم ومبايعتهم له ، كمن لجأ إلى قاض ما ، أو حاكم ليحكم بين اثنين في مسألة ما .
فهل عرفتم فساد قياسكم !!!

ولنضرب مثالا لذلك ، فلو أن أحد ابناء الدول التي يحمل ذلك الشخص جوازها ، ذهب إلى دولة ما هاربا من ظلم حاكمها ثم ما لبث وأن حصل في هذه الدولة انتخابات رئاسية فهل يحق لذلك الشخص أن يدلي بصوته لانتخاب حاكما لتلك البلاد .

بالتأكيد لا يحق له ذلك ، لأنه ليس من أبناء تلك البلد ، وقوانين الانتخاب لا تجري عليه ، وليس له أن يبايع أحدا فيها يكون حاكما له ، صحيح أن قوانين البلد تسري عليه إن خالفها طالما أنه رضي أن يعيش بها لكن لا يلزمه أن يكون رئيسها حاكما له

وكذلك الصحابة عندما ذهبوا إلى النجاشي فلم يكونوا من أبناء تلك البلد ليصبح النجاشي حاكمهم وولي أمرهم ، ولا يحق للنجاشي أن يطالبهم ببيعته لأنهم ليسوا من رعيته ، ولهم بيعة في عنق غيره .

مع الأخذ بعين الاعتبار : أن المسلمين عندما طلبوا حمايته ، ورضوا عدله ، لم تكن دولة الإسلام قائمة، ولا أحكام الشريعة قد بانت ، لم تفرض الصلاة بهيئتها المعروفة بعد ، ولا الصيام ، بل لم يكن

قد حرم الخمر ، ولا الربا ، لم يكن من الرسالة المحمدية آنذاك إلا الدعوة إلى وحدانية الله عز وجل ، وكان الكفار يحاربونهم من أجلها ، فطلبوا حمايتهم عند النجاشي ممن اعتدى عليهم بسببها فكانوا مستضعفين ليس لهم من الأمر شيء ، فكيف نقيس طلب الحماية من كافر قوي منصف عادل في قضية ما ، على جواز مبايعة كافر لبلاد الإسلام والمسلمين

ولنحاكمكم إلى قياسكم الفاسد :

فما هو الأصل ، وأين العلة ، وكيف يكون الفرع عندكم
فإن كان الأصل الذي تريدون القياس عليه هو حكم النجاشي (الكافر) للمسلمين من الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لنصرتهم وحمايتهم
وكان الفرع الذي تريدون إلحاق القياس به هو حكم الكافر اليوم للمسلمين وبلادهم
وعلة هذا القياس : (كفر الحاكم وإسلام المحكومين)

أقول : في هذا الاستدلال الباطل ، والقياس الفاسد .
أولا : أن من تذهبون إلى جواز مبايعته من الكفار حاكما على المسلمين وبلادهم إنما تطلبون له البيعة من أبناء المسلمين ليكون حاكما عليهم .

بينما لم تحصل البيعة من المهاجرين للنجاشي وإنما طلب الحماية والنصرة ولو أنهم بايعوه حاكما عليهم لصح لكم القياس
ففارق قياسكم الأصل في عدم حصول البيعة من المسلمين آنذاك للكافر بينما تجيزونها له من المسلمين الآن
وهذا أول ما يفسد بطلان قياسكم

ثانيا : أن الحاكم الكافر ممن تذهبون إلى جواز ولايته الآن إنما تبايعونه لحكم بلاد مسلمة بينما النجاشي كان يحكم بلاد كافرة
وهذا فساد أصلكم الثاني

ثالثا : عندما أرسل الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم صحابته إلى النجاشي
إنما أرسلهم خوفا على دينهم من فتنة الكفار ، مع انعدام المأمن آنذاك إلا إلى الحبشة ، وبعد ذهابهم إليها بلغ إلى مسامعهم أن مكة أسلمت ، فرجعوا مسرعين إليها ، فلما علموا كذب ذلك رجع منهم من رجع ومن بقي منهم نزل على جوار أحد رجالات مكة من المشركين
فهم طلبوا مجرد الحماية فكانوا مستضعفين لضرورة نزلت بهم مع الأخذ بعين الاعتبار عدم وجود دولة لهم ولا شريعة تحكمهم
بينما المسلمون اليوم لهم منعة ، ودولهم قائمة ، وهم أقوياء فيها وشرع الله نازل فيهم ويلزمهم العمل بها ، ووجودهم في دولتهم ليس هروبا من دولة أخرى أو هروبا من حكم ظالم عليهم حتى يقبلوا بما يفرض عليهم رغما عنهم

فكان هذا الأصل الثالث لفساد قياسكم المعطوب

رابعا : أن المسلمين ذهبوا لأجل حمايتهم من أجل قضية خاصة لهم فقط ومؤقتة لا من أجل النزول على حكمه والبقاء تحت ظله ومبايعته وليس عن رضا وقبول وإنما لضرورة قائمة ، وملحة آنذاك بينما حاكم اليوم بيعته ليس لمجرد حماية خاصة فقط وإنما من أجل الحكم العام للعباد والبلاد وبيعة دائمة لكل كافر يسوس البلاد ولو لآلاف السنين طالما أنه عادل

وهذا فساد قياسكم الرابع

خامسا : أن الدليل الشرعي قد منع ذلك وحرمه حتى وإن جاز لهم ذلك فقد منع بعدهم
كمن أجاز شرب الخمر اليوم بحجة أن الصحابة شربوا الخمر ولم ينظر إلى تحريمه بعد ذلك

وهذا دليل خامس في بطلان قياسكم الفاسد

فهل يصح الأخذ بقوله أو اعتبار قياسه طالما جاء النص على تحريمه

الشبهة الخامسة : استدلالهم باستجارة الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بكافر

وما أسوأ من ذاك الاستدلال المشئوم إلا هذه الشبهة الفاسدة، فقد بلغ من شدة إفلاسهم وهذيانهم الجرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، عندما استدلوا بنزوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم على جوار مطعم بن عدي فأجازوا قبول حكم الكافر وتوليته على المسلم بهذا الاستدلال .

فهل عقل هؤلاء ما يخرج من رؤوسهم وما تنطق به ألسنتهم
هل مجرد نزول الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم على جوار مطعم بن عدي قبول منه لولاية الكافر على المسلم ليصبح بذلك عياذا بالله سيده وولي أمره وحاكمه ، طالما أنهم قبلوا الإستدلال بتلك الواقعة على جواز حكم الكافر للمسلم .

لقد حشد هؤلاء القوم كل قول ناقص ومرذول ، وهم يكذبون على رسول الله وينالون من عرضه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم
فلله در الحمار ، فإنه لا يخوض فيما لا يحسن ، ولا ينهق إلا وقت الحاجة للنهيق
لقد كان عم الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يحميه ، ويدافع عنه ، وينصره ، فهل كان عمه حاكما عليه ، أو كان الرسول مبايعا له في حكمه ، أو داعيا لولايته
" إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور " .

وأمر آخر مهم ذكرناه آنفا أن النزول منه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان في بداية الدعوة ، وقبل قيام الدولة ، ونزول الأحكام الشرعية

فأي قياس استدل به هؤلاء ، يا ليت أن ابن حزم حي يرزق بيننا اليوم لحملكم على البغال ولطاف بكم بالزقاق ، وجعل الصبية يضربون مؤخراتكم بالنعال .

الفصل الرابع : ـــــ حكم الكافر للمسلمين يستوجب تعطيل فريضة الجهاد

فرض الله عز وجل الجهاد على المسلمين وجعل أمره قائم إلى يوم الدين
قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم " الجهاد ماض إلى يوم القيامة "
وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : جعل رزقي تحت ظل سيفي "

والجهاد إما أن يكون جهاد دفع أو جهاد طلب ، إلا أن جهاد الدفع أوجب من دفاع الطلب ومقدم عليه ، وغايته حماية المسلمين وبلادهم من سطوة عدوهم من الكفار ومن والاهم ، حتى لا يتمكنوا منهم ويصبح المسلمون بذلك تحت إمرة الكافر ، وحتى لا يتمكن الكافر من دين المسلمين فيحكمهم بغير شرع الله

وغاية جهاد الطلب ملاحقة الكفار في بلادهم لإقامة دين الله عز وجل وتحكيم شرعة وتقوية وجوده ونفوذه واتساع رقعة الإسلام وقد تحقق للأمة ذلك حتى امتدت رقعتها وبلغ نفوذها وهيمتها مشارق الأرض ومغاربها فحمت بيضتها وصانت مركز قوتها حتى غدت عزيزة قوية مهابة حتى كان الدين فيها كله لله ، ولو أنها بقيت بالمدينة فلم تتسع رقعتها لضعف أمرها وقلّ شأنها ولتمكن أعداء الله منها ولقضي عليها . إلا أن الله عز وجل حفظها بالمؤمنين الصادقين فدافعوا عنها حتى بلغوا بها مشارق الأرض ومغاربها بعد أن أمرهم بقتال أعدائه ،ووعدهم بالنصر إن أقاموا دينه " قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله "

إلا أن النصر من الله لعباده مشروط بالإعداد مع صدق الإيمان وإقامة أحكام الإسلام ، وهذا الإعداد لقتال الكفار موكل به الحاكم ليقود المسلمين إلى الجهاد لنصرة الدين ضد الكفار ، لكن بأي دين أو عقل يتولى الكافر هذا الأمر ليكون موكلا به والأمر القائم عليه من أجل قتال من كانوا على ملته

وقد جعل الله اقامة شرعه مناط بالحاكم يعمل على إقامة حدوده وتنفيذ أوامره وحمايته من المعتدين عليه والمتربصين به ، وبه يحمى بيضة الإسلام وأهله من أعدائهم الذين يكيدون لهم ولدينهم الذي ارتضاه الله لهم ولن يكون هذا إلا بالحاكم المسلم ولن يقوم أمر الإسلام وأهله وبلادهم إلا به، ولو قام بذلك غير المسلم لتعطل الجهاد ، وضعف أمر العباد والبلاد فكيف للمسلمين أن يفتحوا بلاد غيرهم من الكفار وحاكمهم هو الكافر وكيف لهم أن يحكموا شرع الله فيهم والقائم عليهم لا يؤمن بدينهم

وكيف يكون الدين كله لله والقائم على أمر دينه هو الكافر والله تعالى يقول :" وما كنت متخذ المضلين عضدا "

ففي البخاري عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول " إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدا إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين "

إن كان ترك القيام بأمر الدين يستلزم خروج الأمر من قريش ومعاداتهم وهم أهله ، فكيف بغيرهم ممن لا يقومون أمر الدين ولا الحفاظ على أهله

أيعضد أمر دينه ، وينصر أهله بعدوه ، ويرضاه أمينا عليهم وعلى دينهم وأوطانهم ومصالحهم مع ما أمرنا به من اتخاذهم أعداءً ، وأمره لنا بقتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ؟؟!!!

لذلك فإن تولية الكافر والقول بجواز ذلك جريمة عظيمة لما فيه من مصادمة لشرع الله وهدم للإسلام وشرعه وموالاة للكفار ، كما أن في هذا القول سوء ظن بالله عز وجل ، وما فيه انتقاص وازدراء بالمسلمين وهم لا يجدون كفؤا منهم له القدرة على حكمهم حتى يستعينوا بالكافر وهذا في غاية الذل والمهانة

الفصل الخامس : مبحث في حكم تولية المرأة إمامة المسلمين

جاء الإسلام بحفظ الأعراض، وشدد في مسألة خروج المرأة من بيتها وجعل من صلاتها في بيتها خير لها من صلاتها في المسجد الحرام وبلغ من شدة حرصه على صون المرأة والحفاظ على عفتها ، والخوف من فتنتها ، أن كانت صلاتها في بيتها (غرفتها) أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها ، أفضل من صلاتها في بيتها ــــ أي غرفتها ــــ

حتى حذر الشرع من ضرب أرجلهن خوفا من صوت نعالهن أن يلفت انتباه الرجال فيكون في ذلك مدعاة للنظر إليهن فيخشى عليهم من الفتنة ، وكان لهن تربية أولادهن بالبيوت ، وجعل العمل للرجال خارج المنزل ، ولم يأت نص دالا بمفهوم أو منطوق على إمامة المرأة سواء كانت كبرى أو صغرى ، فولم يفرض عليها الجهاد ، ولم تكن في يوم من الأيام قائدة أو جندية في الجيش لم يأذن لها أن تخرج من بيتها لزيارة أهلها إلا بإذن زوجها بل وحذرها من لين القول حتى لا يطمع من كان في قلبه مرض ولو تأملنا حديث الرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : المرأة عورة إذا خرجت استشرفها الشيطان " أي زينها بأعين الرجال " لعرفنا شدة الحرص على عدم خروج المرأة من غير حاجة ملحة ، ولزومها منزلها حتى وهي في كامل حجابها ، وسترها ، وعفتها .

كل هذا وذاك يجعل من خروج المرأة لغير الحاجة الملحة محل نظر ، وحذر ، وخوف مما ستؤول إليه الأمر، فكيف بمن يبيح لها أن تكون حاكما ناهيك عن أمر القوامة " إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور " .

أخيرا ....

إن من الشأن الأمم والشعوب على مر الأيام والدهور أن الحاكم فيهم من ملتهم ومن بني جلدهم ، حتى في عصرنا هذا الذي يزعم فيه الكفار حكم الديمقراطية الكافرة ، لا يرضون فيه حكم المسلم لبلدهم الكافر إلا إن تنصر ودخل في دينهم ، بل ومنذ وقت قريب منعت إحدى الولايات الأمريكية ترشح إحدى المنتخبات لمجرد ضعف في لهجتها الإنكليزية ، ونحن نقبلهم مع كفرهم أن يكونوا أسيادا وحكاما علينا

أي ذل وهان ابتلينا به من دعاة هذا الزمان ، بل إن من شأن الحيوانات وحتى القردة منهم ، أن قائدهم قردا منهم ، ومن جنسهم ومن جلدهم ، وجماعتهم ، وقس على باقي الأجناس ، بل إن الأمر لم يقف عند الحيوانات بل تعداه إلى الحشرات ، فهل عرفت يوما أن نملا حكمتهم بعوضة ، أو خلية نحل قائدهم فيها الذباب

لكن عند صعاليك الدعوة الإسلامية من المنهزمين من أبناء جلدتنا ، ممن اعتادوا الصغار ، وتذوق الذل والهوان ، وهم يجدون فيهما طلاوة وحلاوة ، يبتغون العزة عن أعداء الملة ، أن يصعر أحدهم خده لأعداء ملته ليدوسوا عليه بنعالهم القذرة وهو فرح مسرور مناديا هل من مزيد .

فلا عجب أن تكون الحشرات أرفع منزلة منهم وأعلى شأنا وأعز قدرا ، وهم يرضون ولاية الكافر على المسلم ، لكن هيهات هيهات أن تنقاد الأسود للكلاب عند الصادقين والمخلصين
فلا حكم إلا لله ، ولا ولاية إلا لمسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه : أحمد بوادي ـــ أبو داود السافري ـــ
a.bawadi@yahoo.com